

إميل ناصيف

أزوح ما قبل
من
الوصايا

دار الجيد
بيروت

فهرس المحتويات

الصفحة	
٥	المقدمة
٩	الباب الأول: من وصايا الله والرسول
١١	الفصل الأول: من وصايا الله
١٣	الفصل الثاني: الوصايا العشر
١٥	الفصل الثالث: من وصايا الرسول (ﷺ)
٢٩	الباب الثاني: من وصايا الملوك والخلفاء إلى ولاية العهد
	الفصل الأول: عبد شمس بن الوائل بن الغوث يوصي بنيه بطاعة
٣١	ابنه الصوّار، ويوصيه
٣٣	الفصل الثاني: أبو بكر الصديق يوصي عمر بن الخطاب
٣٥	الفصل الثالث: عمر بن الخطاب يوصي الخليفة من بعده
٣٨	الفصل الرابع: معاوية بن أبي سفيان يوصي ابنه يزيد
٤١	الفصل الخامس: أبو جعفر المنصور يوصي ولده المهدي
	الباب الثالث: من وصايا الخلفاء وغيرهم إلى أمراء الجيوش
٤٧	(وصايا الحرب)
٤٩	الفصل الأول: أكثم بن صيفي يوصي بني تميم
٥٠	الفصل الثاني: أبجر بن جابر يوصي بنيه
٥١	الفصل الثالث: أبو بكر الصديق يوصي أسامة بن زيد
٥٢	الفصل الرابع: أبو بكر الصديق يوصي خالد بن الوليد
٥٣	الفصل الخامس: أبو بكر الصديق يوصي سعد بن أبي وقاص
	الفصل السادس: عمر بن الخطاب يوصي سعد بن أبي وقاص
٥٤	لما وجهه لقتال الفرس
٥٥	الفصل السابع: علي بن أبي طالب يوصي معقل بن قيس الرياحي
٥٦	الفصل الثامن: علي بن أبي طالب يوصي عسكره
٥٧	الفصل التاسع: أبو جعفر المنصور يوصي عيسى بن موسى

الباب الرابع: من وصايا الخلفاء إلى ولاية الأمصار	٥٩
الفصل الأول: علي بن أبي طالب يوصي قيس بن سعد	٦١
الفصل الثاني: معاوية بن أبي سفيان يوصي عمرو بن العاص	٦٢
الفصل الثالث: مروان بن الحكم يوصي ابنه عبد العزيز	٦٣
الباب الخامس: من وصايا الآباء إلى الأبناء	٦٥
الفصل الأول: وصية أحيقار إلى ابنه نادان	٦٧
الفصل الثاني: أكثم بن صيفي يوصي بنيه	٧٥
الفصل الثالث: لقمان الحكيم يوصي ابنه	٧٧
الفصل الرابع: قسّ بن ساعدة يوصي ابنه	٨٠
الفصل الخامس: أوس بن حارثة يوصي ابنه مالك	٨١
الفصل السادس: زرار بن عدس يوصي بنيه وبني بنيه	٨٣
الفصل السابع: الإمام علي بن أبي طالب يوصي ابنه الحسن	٨٥
الفصل الثامن: الأشعث بن قيس الكندي يوصي بنيه	٨٩
الفصل التاسع: جعفر بن محمد الصادق يوصي ابنه موسى	٩٠
الفصل العاشر: العتبي يوصي ابنه عبد الرحمن	٩٢
الفصل الحادي عشر: عبد الرحمن الأوسط بن الحكم يوصي ولده	
المنذر بن عبد الرحمن	٩٣
الفصل الثاني عشر: أحمد أمين يوصي ابنه	٩٧
الفصل الثالث عشر: فاخر عاقل يوصي ولده	١٠٠
الفصل الرابع عشر: أدفيك شيبوب يوصي ابنها	١٠٢
الباب السادس: وصايا الآباء إلى مؤدبي أولادهم	١٠٥
الفصل الأول: عبد الملك بن مروان يوصي مؤدب ولده	١٠٧
الفصل الثاني: عمر بن عبد العزيز يوصي مؤدب ولده	١٠٨
الفصل الثالث: عتبة بن أبي سفيان يوصي مؤدب ولده	١١٠
الفصل الرابع: هارون الرشيد يوصي مؤدب ولده	١١٢

١١٥	الباب السابع: من وصايا الزواج
١١٧	الفصل الأول: أمانة بنت الحارث توصي ابنتها
١١٩	الفصل الثاني: عامر بن الظرب العدواني يوصي ابنته
١٢١	الفصل الثالث: أسماء بن خارجة يوصي ابنته
١٢٢	الفصل الرابع: عبد الله بن جعفر يوصي ابنته
١٢٣	الباب الثامن: من وصايا الزهاد
١٢٥	الفصل الأول: الإمام الأوزاعي يعظ المنصور
١٢٩	الفصل الثاني: صالح بن عبد الجليل يعظ الخليفة المهدي
١٣١	الفصل الثالث: رجل من الزهاد يعظ المنصور
١٣٥	الباب التاسع: من وصايا السفر
١٣٧	الفصل الأول: لقمان الحكيم يوصي ابنه
١٣٩	الفصل الثاني: أعرابية توصي ابنها
١٤٠	الفصل الثالث: امرأة توصي ابنها
١٤٢	الفصل الرابع: رجل يوصي آخر
١٤٣	الفصل الخامس: حكيم يوصي صديقه
١٤٥	الباب العاشر: من الوصايا الشعرية
١٤٧	الفصل الأول: ذو الإصبع العدواني يوصي ابنه
١٥٠	الفصل الثاني: الإمام علي بن أبي طالب يوصي
١٥٣	الفصل الثالث: ابن الوردي يوصي
١٥٦	الفصل الرابع: صالح بن عبد القدوس يوصي
١٥٨	الفصل الخامس: أبو الفتح البستي يوصي
١٦٢	الفصل السادس: الشيخ ناصيف اليازجي يوصي
١٦٤	الفصل السابع: إيليا أبو ماضي يوصي
١٦٦	فهرس المحتويات

المقدمة

الوصيّة، في اللغة، تأتي بمعنى الفرض، والعهد، كما تأتي بمعنى الوعظ، وهذا المعنى الأخير هو ما نقصده في كتابنا هذا. والوصايا نوعان:

١- وصايا الأحياء للأحياء، وهي أدب، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصرة بصالح عمل.

٢- وصايا الأموات للأحياء عند الموت، بحقّ يجب عليهم أدائه، ودين يجب عليهم قضاؤه^(١).

وقد يتداخل هذان النوعان في الوصيّة الواحدة، إلا أنّنا نستطيع التمييز بينهما في معظم الوصايا.

وللنوع الثاني من هذه الوصايا أحكام شرعيّة، واختلافات فقهيّة، وقد صنّفت الكتب الكثيرة في أحكام الوصيّة في الشرع الإسلاميّ، وفي القوانين الوضعيّة، ومنها:

١- أحكام الوصيّة لعلّي الخفيف.

٢- الوصيّة وتصرفات المريض مرض الموت في القانون المصريّ، وفي القوانين الأجنبيّة.

وهذا النوع من الوصايا لا يهمّنا في هذا الكتاب، والذي يهمّنا هو

(١) أسامة بن منقذ: لباب الآداب ص ١.

النوع الأول، وفي دراسة هذا النوع فائدة كبيرة سواءً من الناحية الأدبية، أم من الناحية اللغوية، أم الأخلاقية، أم الحضارية، أم التاريخية، أم غيرها.

وقد صَنَّف بعضهم كتباً في الوصايا، ومن هذه الكتب نذكر على سبيل المثال:

- ١- وصايا ملوك العرب ليحيى بن الوشاء.
 - ٢- الدرّة المضيّة في الوصايا الحكميّة لأبي بكر الشيباني.
 - ٣- الوصايا ومدى تطوّرها في العصر العبّاسيّ الأوّل لسهام الفريع.
 - ٤- جمهرة وصايا العرب لمحمد نايف الديلمي.
- هذا وثمّة كتب أدبيّة كثيرة تضمّنت العديد من الوصايا، ومنها:
- ١- الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.
 - ٢- الأمالي لأبي علي القالي.
 - ٣- الأمالي للسيد المرتضى.
 - ٤- البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيديّ.
 - ٥- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الألوسي.
 - ٦- البيان والتبيين للجاحظ.
 - ٧- ثمار القلوب للثعالبي.
 - ٨- جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت.
 - ٩- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي.
 - ١٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي.
 - ١١- العقد الفريد لابن عبد ربه.
 - ١٢- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري.
 - ١٣- الكامل في التاريخ لابن الأثير.

- ١٤- الكامل في اللغة والأدب للمبرد.
- ١٥- لباب الآداب لأسامة بن منقذ.
- ١٦- مجمع الأمثال للميداني.
- ١٧- المعمرن والوصايا لأبي حاتم السجستاني.
- ١٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي.

☆ ☆ ☆

ورغم هذه الكثرة من الوصايا في الأدب العربي قديمه، وحديثه، ورغم أن أدب الوصايا يُعتبر أدباً متميّزاً سواء من ناحية المضمون أم من ناحية الأسلوب، فإن الدارسين العرب المحدثين لم يخصصوه على أنه نوع، أو فن أدبي، كما لم ينل هذا الأدب حظه من الدراسة، لكي تتوضح أهم مقوماته الفنيّة والأسلوبية، وأهم خصائصه ومميزاته عبر العصور.

ولن أتطرق في كتابي هذا إلى دراسة أدب الوصية، لأنّ هذا الكتاب يشكّل حلقة من سلسلة «أروع ما قيل»، التي تتضمّن مختارات رائعة من الأنواع والفنون الأدبية المختلفة.

وقد صنّفت هذه الوصايا بحسب قائلها، وجعلتها في عشرة أبواب على النحو التالي:

- ١- الباب الأول: من وصايا الله والرسول.
- ٢- الباب الثاني: من وصايا الملوك والخلفاء إلى ولاة العهد.
- ٣- الباب الثالث: من وصايا الخلفاء وغيرهم إلى أمراء الجيوش (وصايا الحرب).

- ٤- الباب الرابع: من وصايا الخلفاء إلى ولاة الأمصار.
- ٥- الباب الخامس: من وصايا الآباء إلى الأبناء.
- ٦- الباب السادس: من وصايا الآباء إلى مؤدّبي أولادهم.

٧- الباب السابع : من وصايا الزواج .

٨- الباب الثامن : من وصايا الزهّاد .

٩- الباب التاسع : من وصايا السّفَر .

١٠- الباب العاشر : من الوصايا الشعريّة .

وأرجو أن أكون قد وفّقت فيما اخترت من وصايا، والله الموفّق
والمعين .

المؤلّف

الباب الأول

من وصايا الله والرسول

الفصل الأول:

من وصايا الله

كثيرة هي الوصايا التي أوصانا بها الله في كتابه العزيز، ونستطيع اعتبار كل نصيح، أو إرشاد، أو أمر، أو نهى، في القرآن الكريم، وصية من الله عز وجل لعباده، ومنها:

﴿وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ، وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ اٰوْتُوْا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَاِيَّاكُمْ اَنْ اَتَّقُوْا اللّٰهَ، وَاِنْ تَكْفُرُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ غَنِيًّا حَمِيْدًا﴾^(١) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِيْنَ يَخْوَضُوْنَ فِيْ آيٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخْوَضُوْا فِيْ حَدِيْثٍ غَيْرِهِ، وَاِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىْ مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ﴾^(٢) ﴿وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، وَاِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِيْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمَهُمَا، اِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ، فَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾^(٣) ﴿وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ اُمُّهُ وَهْنًا عَلٰى وَهْنٍ وَفَصَالَهُ فِيْ شَامٍ اَنْ اَشْكُرَ لِيْ وَلَوْلَا دِيْكَ اِلَيَّ الْمَصِيْرُ﴾^(٤).

(١) سورة النساء، الآية ١٣١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٨.

(٤) سورة لقمان، الآية ١٤.

وإذا أردنا كتابة كلِّ وصايا الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز، لنقلنا قسماً كبيراً من القرآن الكريم.

وثمة وصايا أخرى لله عزَّ وجلَّ جاءت على لسان نبيِّه، ومنها قوله:
أوصاني ربِّي بِتَسْعٍ، وأنا أوصيكمُ بها: بالإخلاصِ في السِّرِّ
والعلانيَّة، والعدْلِ في الرِّضا والغضبِ، والقصدِ في الغنى والفقرِ، وأنْ
أعفوَ عَمَّنْ ظَلَمَني، وأُعطيَ مَنْ حَرَمَني، وأصلِّ مَنْ قَطَعَني، وأنْ يكونَ
صَمْتي فِكْراً، ونُطْقِي ذِكْراً، ونَظْرِي عِبْراً^(١).

☆ ☆ ☆

(١) لباب الآداب ص ٥.

الفصل الثاني :

الوصايا العشر

يُقصد بالوصايا العشر مجموعة الوصايا التي أنزلت على النبي موسى في صحراء سيناء .

وهذه الوصايا كانت مكتوبة على لوحين من الحجر . وكان القضاة يراقبون تطبيق مضمونها .

ومع الزمن اضطرّ هؤلاء القضاة إلى تفسير بعض المقاطع ممّا أدى بهم إلى تحرير كتاب العهد الذي يُرجع إليه في حال الشكّ أو اختلاف الرأي .

وهذه الوصايا هي :

- ١- أنا الربّ إلهك الذي أخرجك من مصر من بيت العبوديّة . لا يكنّ لك آلهة أخرى أمامي .
- ٢- لا تنطق باسم الربّ إلهك باطلاً .
- ٣- اذكر يوم السبت لتقدّسه .
- ٤- أكرم أباك وأمك .
- ٥- لا تقتل .
- ٦- لا تزني .
- ٧- لا تسرق .

- ٨- لا تشهد على قريبك شهادة زور.
- ٩- لا تشتت بيت قريبك.
- ١٠- لا تشتت امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك.



الفصل الثالث :

من وصايا الرسول (ﷺ)

كان من الطبيعي أن نجد في كتب الحديث الكثير من وصايا الرسول، ذلك أن النبي محمد (ﷺ)، وهو الرسول الأمين، كان يعتمد، فيما يعتمد، لنشر الدين القويم، الذي يدعو إلى الأخلاق الحميدة، على الوصايا التي تحض على الخير، وتحذر من الشر، وتهدي الإنسان سواء السبيل، ولو جمعنا هذه الوصايا لتحصل لدينا كتاب ضخمة. وقد اقتطفنا منها ما يلي:

قال يوصي حزملة بن عبدالله العنبري^(١) وقد طلب منه ذلك: يا حزملة، إيتِ المعروف، واجتنب المنكر، وانظر إلى الذي تُحب أن يقوله القوم من الخير إذا قُمتَ من عندهم فأتِهِ، وانظر إلى الذي تكره أن يقوله القوم من الشر إذا قُمتَ من عندهم فأجتنبه^(٢).

☆ ☆ ☆

وقال معاذ بن جبل^(٣):

(١) هو من أصحاب الرسول (ﷺ)، رحل إليه وحديث عنه بهذا الحديث، وقد رواه البخاري مع بعض الاختلاف.

(٢) لباب الآداب ص ٥ - ٦.

(٣) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي (٢٠ ق.هـ. / ٦٠٣ م - =

أوصاني الرسول أن أنظرُ إلى مَنْ هُوَ دُونِي، ولا أنظرُ إلى مَنْ هُوَ
فَوْقِي، وأوصاني بحُبِّ المساكين، والدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وأوصاني أن لا أسألَ
أَحَدًا شَيْئًا، وأوصاني أن أَصِلَ رَحِمِي، وإن أدْبَرْتُ، وأوصاني أن أقولَ
الحقَّ وإن كَانَ مُرًّا، وأوصاني أن أقولَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،
وأوصاني أن لا أخافَ في اللَّهِ لَوَمَةٍ لَائِمَةٍ^(١).

☆ ☆ ☆

وقال لأنس بن مالك^(٢):

يا بُنَيَّ، عَلَيْكَ بِسَبَاغِ الْوُضُوءِ^(٣)، يُزَدُّ فِي عُمْرِكَ، وَيَحْبُثُكَ حَافِظُكَ،
يا بُنَيَّ، بِالْغُفْرِ فِي غُسْلِكَ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَإِنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ مُغْتَسِلِكَ وَلَيْسَ
عَلَيْكَ ذَنْبٌ وَلَا خَطِيئَةٌ.

يا بُنَيَّ، كُنْ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَلَى وَضُوءٍ فَأَفْعَلْ، فَإِنَّهُ مَنْ أَتَاهُ
مَلَكُ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى وَضُوءٍ أُعْطِيَ الشَّهَادَةَ.
يا بُنَيَّ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَزَالَ تُصَلِّي فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْكَ مَا
دُمْتَ تُصَلِّي.

= ١٨هـ/٦٣٩م) صحابي جليل، من أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة
الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ﷺ). أسلم وهو فتى، وأخى النبي (ﷺ) بينه
وبين جعفر بن أبي طالب. وشهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدرًا وأحد
والخندق وغيرها. أرسله الرسول (ﷺ) بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن.
(الزركلي: الأعلام ٧/٢٥٨).

(١) لباب الآداب ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري (١٠ ق.هـ/٦١٢ - ٩٣هـ/٧١٢م) صاحب
رسول الله (ﷺ) وخادمه؛ روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. الزركلي: الأعلام
٢/٢٤ - ٢٥).

(٣) ويروى أن أنساً قال للرسول (ﷺ): وما المبالغة في الغسل؟ قال: أن تبلَّ أصول
الشعر وتنقي البشرة.

يا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَالْاَلِيفَاتَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ هَلَكَةٌ، يَا بُنَيَّ، إِذَا رَكَعْتَ
فَارْفَعْ يَدَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وَضَعْ كَفَّيْكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ.

يا بُنَيَّ، إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَأَبْسُطْ ظَهْرِي قَدَمَيْكَ عَلَى
الْأَرْضِ، وَضَعْ أَلْيَتَكَ عَلَى عَقَبَيْكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا
سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ، لَا تُقَعِّحْ كَمَا يُقَعِّحِي
الْكَلْبُ، وَلَا تَنْقُرْ كَمَا يَنْقُرُ الدِّيكُ.

يا بُنَيَّ، إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنَزِلِكَ، فَلَا يَقَعَنَّ بَصْرُكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ
الْقَبِيلَةِ إِلَّا سَلِّمْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّكَ تَرْجِعُ وَقَدْ زِيدَ فِي حَسَنَاتِكَ.

يا بُنَيَّ، إِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تُمَسِيَ وَتُصْبِحَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ
فَأَفْعَلْ، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ فِي الْحِسَابِ.

يا بُنَيَّ، إِنْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي، فَلَا يَكُونَنَّ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ
الْمَوْتِ^(١).



وقال رسول الله (ﷺ) يوصي رجلاً وقد طلبَ منه ذلك:

قالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي بِشَيْءٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: أَكْثَرُ ذِكْرِ
الْمَوْتِ يُسَلِّكَ عَنِ الدُّنْيَا، وَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي النِّعْمَةِ، وَأَكْثَرِ
الدُّعَاءِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى يُسْتَجَابُ لَكَ، وَإِيَّاكَ وَالْبُغْيَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى
أَنَّهُ مَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَتْهُ اللَّهُ، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ بُغِيْكُمْ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢)، وَإِيَّاكَ وَالْمَكْرَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى أَلَّا يَحِقَّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا
بِأَهْلِهِ^(٣)

(١) لباب الآداب ص ٧.

(٢) سورة يونس، الآية ٢٣.

(٣) البيان والتبيين ٢/ ٢١.

وقال رسول الله ﷺ يوصي الناس^(١):

أوصيكم بثلاث، وأنهاكم عن ثلاث، أوصيكم بالذكر، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٢)، وأوصيكم بالشكر، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣)، وأوصيكم بالدعاء، فإن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤).

وأنهاكم عن البغي، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٥)، وأنهاكم عن المكر، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٦)، وأنهاكم عن التثب، فإن الله جلَّ جلاله يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٧).

☆ ☆ ☆

وقال رسول الله ﷺ يوصي أبا هريرة^(٨):

يا أبا هريرة، اتق المحارم تكن أعبد الناس، وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وحب للناس ما

(١) لباب الآداب ص ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٧.

(٤) سورة غافر، الآية ٦٠.

(٥) سورة يونس، الآية ٢٣.

(٦) سورة فاطر، الآية ٤٣.

(٧) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٨) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة (٢١ ق.هـ/٦٢٢ م -

٥٩هـ/٦٧٩ م) صحابي، كان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. روى عن

الرسول ﷺ (٥٣٧٤ حديثاً، ونقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي.

(الزركلي: الأعلام ٣/٣٠٨).

تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فَإِنَّ الضَّحِكَ يُمِيتُ
الْقَلْبَ^(١).

☆ ☆ ☆

وقال رسول الله ﷺ يوصي علي بن أبي طالب^(٢) رضي الله عنه .
يا علي، أوصيك بوصية فأحفظها، فإنك لا تزال بخير ما حفظت
وصيتي .

يا علي، إنَّ للمؤمن ثلاث علامات، الصلاة، والصيام، والزكاة،
وللمتكلف ثلاث علامات، يتملق^(٣) إذا شهد، ويغتاب إذا غاب،
ويشمت بالمصيبة، وللظالم ثلاث علامات: يقهر من دونه بالغلبة، ومن
فوقه بالمعصية، ويظهر الظلمة^(٤)، وللمرائي ثلاث علامات: ينشط إذا
كان عند الناس، ويفتر إذا كان وحده، ويحب أن يحمد في جميع
الأمور، وللمنافق ثلاث علامات: إن حدث كذب، وإن وعد أخلف،
وإن أوثمن خان.

يا علي، وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يفراط، ويفراط حتى
يضيع، ويضيع حتى يائس، وليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في
ثلاث: مرمة^(٥) لمعاش، أو لذة في غير محرم، أو خطوة لمعاد.
يا علي، إنَّ من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله، ولا تحمدنَّ

(١) لباب الآداب ص ٢٨ .

(٢) هو الإمام علي بن أبي طالب (٢٣ ق.هـ/ ٦٠٠ م - ٤٠ هـ/ ٦٦١ م) أمير المؤمنين،
ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي (ﷺ)
وصهره. ولد بمكة، وربى في حجر النبي (ﷺ) ولم يفارقه. (الزركلي: الأعلام
٢٩٥/٤).

(٣) يتملق: يتودد بكلام لا يعكس ما في القلب.

(٤) أي: يعاونهم.

(٥) المرمة: كل ما يكفي الإنسان مؤونة السؤال.

أَحَدًا عَلَى مَا آتَاكَ اللَّهُ، وَلَا تَذُمَّنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَهُ اللَّهُ، فَإِنَّ الرِّزْقَ لَا يَجُرُّهُ حِرْصٌ حَرِيصٍ، وَلَا يَصْرِفُهُ كَرَاهِيَّةٌ كَارِيَةٍ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَجَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا بِقَسَمِ اللَّهِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي السُّخْطِ بِقَسَمِ اللَّهِ.

يَا عَلِيَّ، لَا فَقْرَ أَشَدَّ مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا مَالَ أَعْوَزَ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشَ مِنَ الْعُجْبِ، وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقَ مِنَ الْمَشَاوَرَةِ، وَلَا إِيْمَانُ كَالْيَقِينِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَلَا عِبَادَةُ كَالْتَفَكُّرِ.

يَا عَلِيَّ، إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً، وَآفَةُ الْحَدِيثِ الْكَذِبُ، وَآفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ، وَآفَةُ الْعِبَادَةِ الرِّيَاءُ، وَآفَةُ الظَّرْفِ الصِّلَفُ، وَآفَةُ الشُّجَاعَةِ الْبَغْيُ، وَآفَةُ السَّمَاخَةِ الْيَمْنُ، وَآفَةُ الْجَمَالِ الْخِيَلَاءُ، وَآفَةُ الْحَسَبِ الْفَخْرُ، وَآفَةُ الْحَيَاءِ الضَّعْفُ، وَآفَةُ الْكَرَمِ الْفَخْرُ، وَآفَةُ الْفَضْلِ الْبُخْلُ، وَآفَةُ الْجُودِ السَّرَفُ، وَآفَةُ الْعِبَادَةِ الْكِبْرُ، وَآفَةُ الدِّينِ الْهَوَى.

يَا عَلِيَّ، إِذَا أُثْنِيَ عَلَيْكَ فِي وَجْهِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَقُولُونَ، وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي فِيمَا يَقُولُونَ، تَسْلَمُ مِمَّا يَقُولُونَ.

يَا عَلِيَّ، إِذَا أَمْسَيْتَ صَائِمًا فَقُلْ عِنْدَ إِفْطَارِكَ: اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ، يُكْتَبَ لَكَ أَجْرُ مَنْ صَامَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَأَعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ صَائِمٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، فَإِنْ كَانَ عِنْدَ أَوَّلِ لُقْمَةٍ يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ أَغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهَا عِنْدَ فِطْرِهِ غُفِرَ لَهُ وَأَعْلَمْ أَنَّ الصَّوْمَ جُنَّةٌ^(١) مِنَ النَّارِ.

(١) جُنَّةٌ: دُرْعٌ، وَقَايَةٌ.

يا عليُّ، لا تَسْتَقْبِلِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَاسْتَذْبِرْهُمَا، فَإِنَّ أَسْتِقْبَالَهُمَا دَاءٌ
وَاسْتِذْبَارُهُمَا دَوَاءٌ، يا عَلِيُّ، اسْتَكَثِرْ مِنْ قِرَاءَةِ يَس، فَإِنَّ فِي قِرَاءَةِ يَس
عَشْرَ بَرَكَاتٍ، مَا قَرَأَهَا قَطُّ جَائِعٌ إِلَّا شَبِعَ، وَلَا قَرَأَهَا ظَمَانٌ إِلَّا رُوِيَ،
وَلَا عَارٍ إِلَّا اكْتُسِيَ، وَلَا مَرِيضٌ إِلَّا بَرِيَ، وَلَا خَائِفٌ إِلَّا أَمِنَ، وَلَا
مَسْجُونٌ إِلَّا أَنْفَرَجَ، وَلَا أَعَزَبٌ إِلَّا تَزَوَّجَ، وَلَا مَسَافِرٌ إِلَّا أُعِينَ عَلَى
سَفَرِهِ، وَلَا قَرَأَهَا أَحَدٌ ضَلَّتْ لَهُ ضَالَّةٌ إِلَّا وَجَدَهَا، وَلَا قَرَأَهَا عَلَى رَأْسِ
مَيِّتٍ حَضَرَ أَجَلُهُ إِلَّا خَفَّفَ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا صَبَاحاً كَانَ فِي أَمَانٍ إِلَى
أَنْ يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَسَاءً كَانَ فِي أَمَانٍ حَتَّى يُصْبِحَ.

يا عليُّ، اقْرَأْ (حَمَّ الدِّخَانِ) فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ تُصْبِحُ مَغْفُوراً لَكَ، يا
علي، اقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ تُعْطَى قُلُوبَ الشَّاكِرِينَ، وَثَوَابَ
الْأَنْبِيَاءِ، وَأَعْمَالَ الْأَبْرَارِ، يا عَلِيُّ، اقْرَأْ سُورَةَ الْحَشْرِ تُخَشِّرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَمْنًا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، يا عَلِيُّ، اقْرَأْ (تَبَارَكَ وَالسَّجْدَةُ) يُنْجِيَانِكَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، يا عَلِيُّ، اقْرَأْ (تَبَارَكَ) عِنْدَ النَّوْمِ تَدْفَعُ عَنْكَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَمَسْأَلَةَ
مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ^(١)، يا عَلِيُّ، اقْرَأْ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) عَلَى وُضوءٍ تُنَادِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ: يَا مَدِيحَ اللَّهِ قُمْ فَأَدْخُلِ الْجَنَّةَ، يا عَلِيُّ، اقْرَأْ سُورَةَ (البقرة) فَإِنَّ
قِرَاءَتَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَهِيَ لَا تَطِيقُهَا الْبَطَلَةُ^(٢).

يا عليُّ، لَا تُطْلِ الْقُعُودَ فِي الشَّمْسِ، فَإِنَّهَا تُثِيرُ الدَّاءَ الدَّفِينَ، وَتُبْلِي
الثِّيَابَ، وَتُغَيِّرُ اللَّوْنَ، يا عَلِيُّ، أَمَانٌ لَكَ مِنَ الْخَوْفِ أَنْ تَقُولَ:
«سُبْحَانَكَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ»، يا عَلِيُّ، أَمَانٌ لَكَ مِنَ الْوَسْوَاسِ أَنْ تَقْرَأَ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

(١) هما ملكا القبر.

(٢) البطلة: السحرة.

جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا^(١) إِلَى قَوْلِهِ :
﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾^(٢)، يَا عَلِيُّ، أَمَانٌ لَكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ عَائِنٍ^(٣)
أَنْ تَقُولَ : «مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

يَا عَلِيُّ، كُلِّ الزَّيْتِ وَأَدَّهِنْ بِالزَّيْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ أَكَلَ الزَّيْتِ، وَأَدَّهِنْ
بِالزَّيْتِ لَمْ يَقْرَبْهُ الشَّيْطَانُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَا عَلِيُّ، ابْدَأْ بِالْمِلْحِ، وَأَخْتِمُ
بِالْمِلْحِ، فَإِنَّ الْمِلْحَ شِفَاءٌ مِنْ سَبْعِينَ دَاءً، مِنْهَا الْجَنُونُ، وَالْجَذَامُ،
وَالْبَرَصُ، وَوَجَعُ الْحَلْقِ، وَوَجَعُ الْأَضْرَاسِ، وَوَجَعُ الْبَطْنِ. يَا عَلِيُّ، إِذَا
أَكَلْتَ فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، وَإِذَا فَرَعْتَ فَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. فَإِنَّ حَافِظِيكَ لَا
يَسْتَرِيحَانِ يَكْتُبَانِ لَكَ الْحَسَنَاتِ حَتَّى تَنْبَذَهُ عَنْكَ.

يَا عَلِيُّ، إِذَا رَأَيْتَ الْهَيْلَالَ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ فَقُلْ: «اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَكَ وَقَدَّرَكَ مَنَازِلَ وَجَعَلَكَ آيَةً
لِلْعَالَمِينَ» يُبَاهِي اللَّهُ بِكَ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي أَشْهَدُوا أَنِّي
قَدْ أَعْتَقْتُ هَذَا الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ، يَا عَلِيُّ، إِذَا نَظَرْتَ فِي الْمِرَاةِ
فَقُلْ: «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي وَأَرْزُقْنِي». يَا عَلِيُّ،
وَإِذَا رَأَيْتَ أَسَدًا وَاشْتَدَّ بِكَ الْأَمْرُ فَكَبِّرْ ثَلَاثًا وَقُلْ: «اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَجَلْ
وَأَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْرِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ
مِنْ شَرِّهِ»، فَإِنَّكَ تُكْفَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا رَأَيْتَ كَلْبًا يَهْرُ فَقُلْ: ﴿يَا
مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٤٦.

(٣) العائن: الذي يُصِيبُ بالعين، أي يوقع الضرر بالآخرين عن طريق عينه.

فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ^(١).

يا عليُّ، إِذَا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ تَرِيدُ حَاجَةً فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّ حَاجَتَكَ تُقْضَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. يا عليُّ، إِذَا تَوَضَّأْتَ فَقُلْ: «بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ». يا عليُّ، صَلِّ مِنَ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدَرَ حَلْبِ شَاةٍ، وَأَدْعُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِأَسْحَارٍ، لَا تُرَدُّ دَعْوَتُكَ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(٢).

يا عليُّ، غَسَّلِ الْمَوْتَى، فَإِنَّهُ مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا غُفِرَ لَهُ سَبْعُونَ مَغْفِرَةً، لَوْ قُسِّمَتْ مَغْفِرَةٌ مِنْهَا عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ لَوَسِعَتْهُمْ.

يا عليُّ، لَا تَخْرُجْ فِي سَفَرٍ وَخَدَكَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنْ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، يَا عَلِيُّ، إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَافَرَ وَخَدَهُ غَاوٍ، وَالْاِثْنَانِ غَاوِيَانِ، وَالثَّلَاثَةُ نَفَرٌ، يَا عَلِيُّ، إِذَا سَافَرْتَ فَلَا تَنْزِلِ الْأُودِيَةَ، فَإِنَّهَا مَأْوَى السَّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ، يَا عَلِيُّ، لَا تَرْدِفَنَّ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ مَلْعُونٌ، وَهُوَ الْمَقْدَمُ.

يا عليُّ، إِذَا وُلِدَ لَكَ مَوْلُودٌ، غَلَامٌ أَوْ جَارِيَةٌ، فَأَذِّنْ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى وَأَقِم^(٣) فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا. يا عليُّ، لَا تَأْتِ أَهْلَكَ لَيْلَةَ الْهِلَالِ، وَلَا لَيْلَةَ النُّصْفِ، فَإِنَّهُ يَتَخَوَفُ عَلَى وَلَدِكَ الْخَبَلُ^(٤).

يا عليُّ، وَإِذَا نَزَلْتَ بِكَ شِدَّةٌ، فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْكَ أَنْ تُنَجِّينِي»، وَإِذَا أَرَدْتَ الدَّخُولَ إِلَى مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ فَقُلْ حِينَ تُعَايِنُهَا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَخَيْرَ مَا كَتَبْتَ

(١) سورة الرحمن، الآية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧.

(٣) أي: أقم الصلاة.

(٤) الْخَبَلُ: ضعف العقل والجنون.

فيها، وأعوذُ بك من شرِّها ومن شرِّ ما كتبت فيها، اللهم أرزقني خَيْرها، وأعِزني من شرِّها، وحَبِّبنا إلى أهلها، وحَبِّبْ صالحِي أهلها إلينا»، يا عليُّ، إذا نَزَلَتْ مَنْزِلًا فَقُلْ: «اللَّهُمَّ أَنْزِلْنا مَنْزِلًا مُبَارَكًا وأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ» تُرْزَقُ خَيْرُهُ، وَيُدْفَعُ عَنْكَ شَرُّهُ.

يا عليُّ، وإياكَ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّهُ لَا تُعْقِلُ حِكْمَتَهُ، وَلَا تُؤْمِنُ فِتْنَتَهُ. يا عليُّ، وإياكَ والدُّخُولَ إلى الْحَمَّامِ بِلا مِئْزِرٍ، فَإِنَّهُ مَلْعُونُ النَّاطِرِ وَالْمَنْظُورِ إِلَيْهِ. يا عليُّ، لَا تَتَخَسَّمْ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى، فَإِنَّهُ مِنْ فَعْلِ قَوْمِ لُوطَ، يا عليُّ، لَا تَلْبَسِ الْمُعْصِفَر^(١)، وَلَا تَبْتَ فِي مَلْحَفَةِ جَمْرَاءَ، فَإِنَّهَا مُخْتَضِرَةُ الشَّيْطَانِ. يا عليُّ، لَا تَقْرَأْ وَأَنْتَ رَاكِعٌ وَلَا سَاجِدٌ.

يا عليُّ، إياكَ وَالْمِجَادَلَةَ، فَإِنَّهَا تُخْبِطُ الْأَعْمَالَ، يا عليُّ، لَا تَنْهَرِ السَّائِلَ وَلَوْ جَاءَكَ عَلَى فَرَسٍ، وَأَعْطِهِ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ بِيَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعُ بِيَدِ السَّائِلِ، يا عليُّ، بَاكِرٌ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ.

يا عليُّ، عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، فَإِنَّكَ تُذَرِّكُ بِذَلِكَ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، يا عليُّ، إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَقْدَرُ مَا يَكُونُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِذَا غَضِبَ، يا عليُّ، إِيَّاكَ وَالْمِزَاحَ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ بِهَاءَ ابْنِ آدَمَ وَنَشَاطَهُ، يا عليُّ، عَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢)، فَإِنَّهَا مَنَاهَةٌ لِلْفَقْرِ، وَإِيَّاكَ وَالرِّبَا، فَإِنَّ فِيهِ سِتَّ خِصَالٍ، ثَلَاثَةٌ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا، وَثَلَاثَةٌ فِي الْآخِرَةِ، فَأَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا، فَتُعْجِلُ الْفَنَاءَ، وَتُذْهِبُ الْغِنَى، وَتَمَحِّقُ الرِّزْقَ، وَأَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ، فَسَوْءُ الْحِسَابِ، وَسُخْطُ رَبِّ الْأَرْبَابِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ.

يا عليُّ، إِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ يَكْثُرُ خَيْرُ بَيْتِكَ، يا

(١) المعصفر: المدهون بالعصفر، وهو نوع من الصَّبْنِ يُسْتَخْرَجُ مِنَ النَّبَاتِ.

(٢) سورة الانخلاص، الآية ١.

عليّ، أحبّ الفقراء والمساكين يحبُّك الله. يا عليّ، لا تنهر المساكين والفقراء فتنهرك الملائكة يوم القيامة. يا عليّ، عليك بالصدقة فإنها تدفع عنك الشؤء. يا عليّ، أنفق وأوسع على عيالك، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً.

يا عليّ، إذا ركبت دابةً فقل: الحمد لله الذي كرّمنا وهدانا للإسلام ومنّ علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وإنا إلى ربّنا لمُنْقَلِبُونَ^(١).

يا عليّ، لا تغضبَنَّ إذا قيل لك: اتق الله، فیسوءك ذلك يوم القيامة. يا عليّ، إنّ الله يعجب من عبده إذا قال: اللهم اغفر لي إنّ لا يغفر الذنوب إلا أنت، فيقول: يا ملائكتي عبدي هذا علّم أنه لا يغفر الذنوب غيري، أشهدوا أنّي قد غفرت له.

يا عليّ، إذا لبست ثوباً جديداً فقل: بسم الله والحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتني، وأستغني به عن الناس، لم يبلغ الثوب ركبتيك حتى يغفر لك. يا عليّ، من لبس ثوباً جديداً فكسا فقيراً أو يتيماً أو غريباً أو مسكيناً، كان في جوار الله وأمنه وحفظه ما دام عليه سلك.

يا عليّ، إذا دخلت السوق فقل حين تدخله: «بسم الله، وبالله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، يقول الله تعالى: عبدي ذكرني والناس غافلون، أشهدوا أنّي قد غفرت له، يا عليّ، إنّ الله يعجب من يذكره في الأسواق، يا عليّ، إذا دخلت المسجد فقل «بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرجت فقل: «بسم الله والصلاة على رسول الله، اللهم

(١) سورة الزخرف، الآيتان ١٣ و ١٤.

أَفْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»، يَا عَلِيُّ، إِذَا سَمِعْتَ الْمُؤَذِّنَ قُلْ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، يَكْتُبُ لَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ، يَا عَلِيُّ، وَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ وُضُوئِكَ فَقُلْ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»، تَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، وَتُفْتَحُ لَكَ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَقَالُ: أَدْخُلْ مِنْ أَيِّهَا شِئْتَ. يَا عَلِيُّ، إِذَا فَرَعْتَ مِنْ طَعَامِكَ فَقُلْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ، يَا عَلِيُّ، إِذَا شَرِبْتَ مَاءً فَقُلْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَقَانَا مَاءً جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بَرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أَجَاجًا بِذُنُوبِنَا» تُكْتَبُ شَاكِرًا.

يَا عَلِيُّ، إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يُسَوِّدُ الْوَجْهَ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ حَتَّى يُسَمَّى عِنْدَ اللَّهِ كَاذِبًا، وَيَصْدُقُ حَتَّى يُسَمَّى عِنْدَ اللَّهِ صَادِقًا، إِنَّ الْكَذِبَ يُجَانِبُ الْإِيمَانَ. يَا عَلِيُّ، لَا تَغْتَابَنَّ أَحَدًا، فَإِنَّ الْغِيْبَةَ تُفْطِرُ الصَّائِمَ وَالَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ يَأْكُلُ لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَا عَلِيُّ، إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ، فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ^(١)، يَا عَلِيُّ، لَا تَحْلِفْ بِاللَّهِ كَاذِبًا وَلَا صَادِقًا، يَا عَلِيُّ، لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْحَمُ وَلَا يُزَكِّي مَنْ يَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا.

يَا عَلِيُّ، أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَعَوِّدْهُ الْخَيْرَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَشَدَّ خِيفَةً مِنْ لِسَانِهِ. يَا عَلِيُّ، إِيَّاكَ وَاللَّجَاجَةَ، فَإِنَّهَا نَدَامَةٌ. يَا عَلِيُّ، إِيَّاكَ وَالْحِرْصَ، فَإِنَّ الْحِرْصَ أَخْرَجَ أَبَاكَ مِنَ الْجَنَّةِ. يَا عَلِيُّ، إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ. يَا عَلِيُّ، وَيْلٌ لِمَنْ يَكْذِبُ لِيُضْحِكَ النَّاسَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ.

(١) القَتَات: النَّمَام.

يا عليّ، عَلَيْكَ بالسُّوَاكِ فَإِنَّهُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ تَعَالَى،
وَمَجْلَاةٌ لِلْأَسْنَانِ، يَا عَلِيّ، عَلَيْكَ بِالتَّخْلُلِ^(١)، فَإِنَّهُ أَبْغَضُ شَيْءٍ إِلَى
المَلَائِكَةِ أَنْ تَرَى فِي أَسْنَانِ الْعَبْدِ طَعَامًا.

يا عليّ، وَأَنْهَاكَ مِنْ حَيَّاتِ الْبُيُوتِ إِلَّا الْأَفْطَسَ وَالْأَبْتَرَ فَإِنَّهُمَا
شَيْطَانَانِ، يَا عَلِيّ، وَإِذَا رَأَيْتَ حَيَّةً فِي رَحْلِكَ فَلَا تَقْتُلْهَا حَتَّى تُخْرِجَ^(٢)
عَلَيْهَا ثَلَاثًا، فَإِنْ عَادَتْ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلْهَا. يَا عَلِيّ، وَإِذَا رَأَيْتَ حَيَّةً فِي
الطَّرِيقِ فَاقْتُلْهَا، فَإِنِّي قَدْ أَشْتَرَطْتُ عَلَى الْجِنِّ أَنْ لَا يَظْهَرُوا فِي صُورَةِ
الْحَيَّاتِ فِي الطَّرِيقِ، فَمَنْ فَعَلَ خَلَّى بِنَفْسِهِ لِلْقَتْلِ.

يا عليّ، أَرْبَعُ خِصَالٍ مِنَ الشَّقَاءِ، جَمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ،
وَبُعْدُ الْأَمَلِ، وَحُبُّ الدُّنْيَا، يَا عَلِيّ، أَنْهَاكَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ عِظَامِ،
الْحَسَدِ، وَالْحَرَصِ، وَالْغَضَبِ، وَالْكَذِبِ.

يا عليّ، أَلَا أَنْبِئُكَ بِشَرِّ النَّاسِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:
مَنْ أَكَلَ وَحْدَهُ، وَمَنْعَ رِفْدَهُ، وَضَرَبَ عَبْدَهُ. أَلَا أَنْبِئُكَ بِشَرِّ مَنْ هُوَ لَا
جَمِيعًا؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ لَا يَرْجِي خَيْرُهُ، وَلَا
يُؤْمِنُ شَرُّهُ.

يا عليّ، إِذَا صَلَّيْتَ عَلَى جَنَازَةٍ فَقُلْ: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ، وَأَبْنُ
عَبْدِكَ، وَأَبْنُ أُمَّتِكَ، مَاضٍ فِيهِ حُكْمُكَ، خَلَقْتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا
نَزَلَ بِكَ وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْزُولٍ بِهِ، اللَّهُمَّ لَقْنَهُ حُجَّتَهُ، وَالْحَقُّهُ بِنَبِيِّهِ ﷺ،
وَبُتِّتُهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَإِنَّهُ أَفْتَقَرَ إِلَيْكَ وَأَسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ، كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لَهُ وَأَرْحَمْهُ، وَلَا تَحْرِمْنا أَجْرَهُ، وَلَا تَقْتِنَا بَعْدَهُ،
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ زَاكِيًا فَرَكِّهْ، وَإِنْ كَانَ خَاطِئًا فَاعْفِرْ لَهُ. يَا عَلِيّ، وَإِذَا

(١) التَّخْلُلُ: تَنْظِيفُ الْأَسْنَانِ مِمَّا يَبْقَى فِيهَا مِنْ بَقَايَا الْأَطْعَمَةِ.

(٢) أَيِ تَضْيِيقٍ وَتَطْرُدِ.

صَلَّيْتَ عَلَى جَنَازَةِ أَمْرَأَةٍ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَهَا وَأَنْتَ أَحْيَيْتَهَا، وَأَنْتَ أَمَتَّهَا، تَعَلَّمُ سِرَّهَا، وَعَلَانِيَتُهَا، جِئْنَاكَ شُفْعَاءَ لَهَا، فَأَغْفِرْ لَهَا وَأَرْحَمْهَا، وَلَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهَا، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهَا»، وَإِذَا صَلَّيْتَ عَلَى طِفْلِ فَقُلْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لِوَالِدَيْهِ سَلَفًا، وَاجْعَلْهُ لَهُمَا ذَخْرًا، وَاجْعَلْهُ لَهُمَا رَشْدًا، وَاجْعَلْهُ لَهُمَا نُورًا، وَاجْعَلْهُ لَهُمَا فَرَطًا^(١)، وَأَعِيقْ وَالِدَيْهِ الْجَنَّةَ، وَلَا تَحْرِمْهُمَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَهُمَا بَعْدَهُ.

يَا عَلِيُّ، إِذَا تَوَضَّأْتَ فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ الْوُضُوءِ، وَتَمَامَ مَغْفِرَتِكَ وَرِضْوَانِكَ».

يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، أَمَّنَهُ اللَّهُ مِنَ الْبَلَايَا الثَّلَاثَةِ: الْجُنُونِ، وَالْجَذَامِ، وَالْبَرَصِ، وَإِذَا أَتَتْ عَلَيْهِ سِتُّونَ سَنَةً فَهُوَ فِي إِقْبَالٍ، وَبَعْدَ السِّتِّينَ فِي إِدْبَارٍ، وَرَزَقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ فِيمَا يُحِبُّ، وَإِذَا أَتَتْ عَلَيْهِ سَبْعُونَ سَنَةً أَحَبَّهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ؛ وَصَالِحُوا أَهْلِ الْأَرْضِ، وَإِذَا أَتَتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَاتُهُ، وَمُحِيتَ عَنْهُ سَيِّئَاتُهُ، وَإِذَا أَتَتْ عَلَيْهِ تِسْعُونَ سَنَةً، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَإِذَا أَتَتْ عَلَيْهِ مِائَةٌ سَنَةً كَتَبَ اللَّهُ أَسْمَهُ فِي السَّمَاءِ؛ أَسِيرُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَكَانَ جَلِيسَ اللَّهِ تَعَالَى، يَا عَلِيُّ، احْفَظْ وَصِيَّتِي، إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، وَالْحَقُّ مَعَكَ^(٢).

☆ ☆ ☆

(١) الفرط: المتقدم في الأجر.

(٢) وصايا ابن عربي ص ١٧١ - ١٨١.

الباب الثاني

من وصايا الملوك والخلفاء

إلى ولاية العهد

الفصل الأول:

عبد شمس بن وائل بن الغوث يُوصي بنيه بطاعة ابنه الصّوار، ويوصيه

قال عبد شمس^(١):

يا بَنِيّ، أوصيكم بِطَاعَةِ أَخِيكُم الصّوار، فَإِنَّهُ أَكْبَرُكُمْ وَأَرْجَاكُمْ
عِنْدِي، وَأَنْتَ يَا أَبَا السَّمِيدَع^(٢) خَلِيفَتِي بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَعَلَى
رَعِيَّتِي، وَأَحْفَظْ مِنِّي خِصَالاً لَنْ تَضِلَّ مَا أَقْتَدَيْتَ بِهَا.

اعْلَمْ أَنَّ الْعِزَّ لَا يَتَبَيَّنُ فِي الْحَرْبِ إِلَّا بِصِدْقِ الْلِقَاءِ، وَحِمَايَةِ
الْأَذْمَارِ^(٣)، وَذَلِكَ أَمَارَةُ الْغَلْبَةِ، وَلَا يَتَبَيَّنُ فِي سَالِمِ النَّاسِ، إِلَّا مَنْ مَنَعَ
الْجَارَ، وَشَمُوخُ الْأَنْفِ عَنْ سَوْمَةِ الْخَسْفِ، وَالْحَمْلُ عَلَى الدَّنِيَّةِ، وَلَنْ
تَنَالَ ذَلِكَ إِلَّا بِالرُّجَالِ، وَلَنْ تَعْرِفَ مَعَكَ النَّادِرَ مِنْهُمْ إِلَّا بِإِبَانَةِ قَدْرِهِ
عَمَّنْ لَيْسَ يُغْنِي غِنَاؤُهُ، لَأَنَّكَ إِذَا ضَمَمْتَ مِسْمَاكَيْنِ^(٤) فِي أَحَدِهِمَا
قَصْرٌ وَقَعَ الْمِخْمَلُ عَلَى الْأُطُولِ، وَسَقَطَ الْأَقْصَرُ، وَكَذَلِكَ الْأَدَقُّ مِنْ

(١) هو عبد شمس بن وائل بن الغوث، ملك يمانيّ جاهليّ قديم، من حمير من
القحطانيّة.

(٢) كنية ابنه الصّوار.

(٣) الأذمار: الأعراض.

(٤) المسماك: عمود تُرْفَعُ به الخيمة.

الأجدال^(١) الحوامل .

وأَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ بَيْتُ أَسَاسِهِ الْعَدْلُ، وَقَوَاعِدُهُ التَّدْبِيرُ، وَحِيطَانُهُ
التَّيَقُّظُ وَأَرْكَانُهُ الْحَزْمُ، وَتَلَاَحُكُهُ^(٢) الشَّدَّةُ، وَعِمَادُهُ الْوُزَرَاءُ الْكُفَاءُ،
وَعَوَارِضُهُ^(٣) الْقَادَةُ، وَمَوَاحِضُهُ^(٤) الْآتِبَاعُ، وَلَا أَسْتِقَامَةَ لِمُدْبِرِي
الْمَمْلَكَةِ، وَمُسْتَخْرَجِي الْإِتَاوَةِ، إِلَّا بِمُصَاقَبَةٍ^(٥) قَادَةِ الْجُيُوشِ، وَلَا
يَجْمَلُ قَائِدَ الْجَيْشِ، وَسَائِقَ الْجَمَاعَةِ سِوَى أَصْحَابِ الْخِزَانَةِ، وَرُبَّمَا
وَجَدْتَ مَائَةَ مُقَاتِلٍ، وَأَعْجَزَكَ كَافٍ، وَكَثِيرٌ أَنْ يَصْدُقَ الْكِرَّةَ الْعَشْرَةَ مِنْ
المائةِ الْمُقَاتِلِ، وَالْمَائَةُ مِنَ الْأَلْفِ، وَالْأَلْفُ مِنْ أَضْعَافِهِ. وَأَنْشَأُ يَقُولُ:

أَوْصِي بَنِيَّ وَإِنْ تَقَارَبَ بَيْنَهُمْ فِيمَا لَدَيَّ بِطَاعَةِ الصُّوَارِ
وَإِلَيْكَ يَا صُورًا أَوْصِي بِالَّذِي وَحَى إِلَيَّ أُبَوِّتِي فِي الْجَارِ
وَمَحَلُّ كُلِّ حَيْثُ يَبْلُغُ قَدْرُهُ إِذْ مَنْ بِهَا مُتَّفَاوَتُ الْأَقْدَارِ
إِنَّ الْأَصَابِعَ مُسْتَوٍ آصَالُهَا وَالْفَرْعُ بَيْنَ أَطَاوِلٍ وَقِصَارِ
وَمِنْ الرُّجَالِ الْكُلُّ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ مِنْهُ الرُّكَّابُ وَحَامِلُ الْأَوَارِ
وَالْمُلْكُ بَيْتٌ لَا تَقُومُ سَمَاوُهُ إِلَّا بِأَعْمِدَةٍ رَسَتْ وَجِدَارِ
فَالْبَعْضُ مِنْهُ يَبْغِضُهُ مُتَدَافِعٌ بِالطَّيْنِ فَوْقَ الْأَرْضِ وَالْأَخْجَارِ
وَلَرُبَّمَا عَزَّ الْخِيَارُ وَأَيَّدُوا وَأَسْتَنْصِرُوا فِي الدِّينِ بِالْأَشْرَارِ^(٦)

☆ ☆ ☆

(١) الأجدال: الحبال.

(٢) تلاحكه: أساسه.

(٣) العوارض: خشب سقف البيت.

(٤) مواحضه: المخلصون له.

(٥) مصاقبة: مقاربة، ومناسبة.

(٦) ملوك حمير وأقبال اليمن ص ٤٤.

الفصل الثاني :

أبو بكر الصديق يُوصي عُمر بن الخطاب

قال أبو بكر الصديق^(١) يُوصي عمر بن الخطاب^(٢) رضي الله عنهما في اليوم الذي قُبِض فيه :
يا عُمَرُ، صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فرأيتُ أثرَته^(٣) إيانا على أهلِهِ،
ووالله إن كُنَّا لَنُرْسِلُ إِلَيْهِمْ من فَضْلَةٍ ما يأتينا مِنْهُ، وصَحِبْتَنِي ورَأَيْتَنِي،
فوالله ما نُمْتُ فَحَلُمْتُ، ولا تَوَهَّمْتُ فَشُبَّهَ لِي، وإني لعلِي بصيرة من رأي.

يا عُمَرُ، إِنَّ أَوَّلَ ما أَحَذَّرُكَ به نَفْسُكَ، فَإِنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ شَهْوَةً، فإذا
أجابَتْها إليها دَعَتْها إلى ما هُوَ أَعْظَمُ مِنْها، وَأَحَذَّرُكَ هَؤُلاءِ الرَّهْطَ من
المُهَاجِرِينَ، فَإِنِّي قد رَأَيْتُهُمْ طَمَحَتْ أَبْصارُهُمْ، ونُقِخَتْ أَجوافُهُمْ،

(١) هو عبدالله بن عثمان (٥١ق.هـ / ٥٧٣م - ١٣هـ / ٦٣٤م) أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن بالرسول (ﷺ) من الرجال، وأحد أعظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، ومن كبار موسريهم، وعالماً بالأنساب وأخبار القبائل وسياستها. لقبه العرب بعالم قريش. (الزركلي: الأعلام ٤/ ١٠٢).

(٢) هو أبو حفص عمر بن الخطاب (٤٠ق.هـ / ٢٣هـ / ٦٤٤م). ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين. صحابي جليل، وشجاع حازم، وصاحب الفتوحات. يضرب بعدله المثل. وكان من أبطال قريش وأشرافهم. (الزركلي: الأعلام ٥/ ٤٥).

(٣) أثرته: تفضيله.

وتمنى كلُّ امرئٍ منهم لنفسِهِ، فأَحْمِلُهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ يَكْفُوكَ
أَنْفُسَهُمْ.

وَأَعْلَمَ أَنََّّهُمْ لَنْ يَزَالُوا لَكَ هَائِبِينَ مَا هَبَّتَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا، فَرَقِينَ مِنْكَ
مَا فَرَقْتَ مِنْهُ. هَذِهِ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ^(١).

☆ ☆ ☆

(١) المعمرون والوصايا ص ١٤٨ - ١٤٩.

الفصل الثالث :

عمر بن الخطاب يُوصي الخليفة من بعده

قال عمر بن الخطاب^(١)، رضي الله عنه، يُوصي الخليفة من بعده^(٢) :
أوصيك بتقوى الله لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً؛ أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فأقبل من محسنيهم، وتجاوز عن مسيئتهم.
وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم دزء العدو، وجبأة الأموال والفيء، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم.
وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم فتزدد على فقرائهم.
وأوصيك بأهل الذمة خيراً، أن تقايل من ورائهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم طوعاً؛ أو عن يد وهم صاغرون.
وأوصيك بتقوى الله، وشدة الحذر منه، ومخافة مقتيه، أن يطلع منك على ريبة، وأوصيك أن تخشى الله في الناس، وتخشى الناس في الله.
وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغ لحوائجهم وتغورهم، ولا تؤثر

(١) تقدمت ترجمته في الفصل السابق.

(٢) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٦٥.

غَنِيَّتُهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - سَلَامَةٌ لِقَلْبِكَ، وَحَظٌّ لِّوِزْرِكَ، وَخَيْرٌ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ، حَتَّى تُقْضِيَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ سِرِّيَّتَكَ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ.

أَمْرُكَ أَنْ تَشْتَدَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَفِي حُدُودِهِ، وَمَعَاصِيهِ عَلَى قَرِيبِ النَّاسِ وَبَعِيدِهِمْ، ثُمَّ لَا تَأْخُذَكَ فِي أَحَدٍ الرَّأْفَةُ حَتَّى تَنْتَهِكَ مِنْهُ مِثْلَمَا أَنْتَهَكَ مِنْ حُرْمَةِ اللَّهِ، وَاجْعَلِ النَّاسَ سَوَاءً عِنْدَكَ، لَا تُبَالِ عَلَى مَنْ وَجَبَ الْحَقُّ وَلَا تَأْخُذَكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ.

وَإِيَّاكَ وَالْأَثَرَةَ وَالْمَحَابَاةَ^(١)؛ فِيمَا وَلَّاكَ اللَّهُ مِمَّا أَفَاءَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَتَجَوُّرٌ وَتَظْلِيمٌ، وَتَحْرِيمٌ نَفْسِكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ وَسَّعَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ مَنَازِلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْتَ إِلَى الْآخِرَةِ أَقْرَبُ، فَإِنْ أَقْتَرَفْتَ لِدُنْيَاكَ عَدْلًا وَعِقَّةً عَمَّا بَسَطَ اللَّهُ لَكَ، أَقْتَرَفْتَ بِهِ إِيْمَانًا وَرِضْوَانًا، وَإِنْ غَلَبَكَ عَلَيْهِ الْهَوَى، وَمَالَتْ بِكَ شَهْوَةٌ أَقْتَرَفْتَ بِهِ سُخْطَ اللَّهِ وَمَعَاصِيَهُ.

وَأَوْصِيكَ أَلَّا تُرَخِّصَ لِنَفْسِكَ، وَلَا لِغَيْرِكَ فِي ظَلَمِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَقَدْ أَوْصَيْتُكَ وَحَضَضْتُكَ، وَنَصَحْتُ لَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَخْتَرْتُ مِنْ دِلَالَتِكَ مَا كُنْتُ دَالًّا عَلَيْهِ نَفْسِي وَوَلَدِي، فَإِنْ عَمِلْتَ بِالَّذِي وَعَظْتُكَ؛ وَأَنْتَهَيْتَ إِلَى الَّذِي أَمَرْتُكَ أَخَذْتَ بِهِ نَصِيبًا وَافِيًا، وَحَظًّا وَافِرًا، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ؛ وَلَمْ يَهْمَكَ؛ وَلَمْ تُنْزِلْ مَعَاضِمَ الْأُمُورِ عِنْدَ الَّذِي يَرْضَى اللَّهُ بِهِ عَنْكَ، يَكُنْ ذَلِكَ بِكَ أَنْتِقَاصًا، وَرَأْيُكَ فِيهِ مَدْخُولًا، لِأَنَّ الْأَهْوَاءَ مُشْتَرَكَةٌ، وَرَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَالِدَاعِي إِلَى كُلِّ هُلَاكَةٍ إِبْلِيسُ، وَقَدْ أَضَلَّ الْقُرُونُ السَّالِفَةَ قَبْلَكَ، فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ، وَلَبِئْسَ

(١) الأثرية: الأنانية. والمحابة: عدم العدل في المعاملة.

الْثَّمَنُ أَنْ يَكُونَ حَظُّ أَمْرٍ مَوْلَاةً لَعَدُوِّ اللَّهِ، وَالِدَّاعِي إِلَى مَعَاصِيهِ.
ثُمَّ أَرْكَبِ الْحَقَّ، وَخُضْ إِلَى الْغَمَرَاتِ، وَكُنْ وَاعِظًا لِنَفْسِكَ،
وَأُنْشِدُكَ اللَّهَ لِمَا تَرَحَّمْتَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَجَلَلْتَ كَبِيرَهُمْ،
وَرَحَّمْتَ صَغِيرَهُمْ، وَوَقَّزْتَ عَالِمَهُمْ، وَلَا تَضْرِبُهُمْ فَيَذُلُّوا، وَلَا تَسْتَأْثِرْ
عَلَيْهِمْ بِالْفِيءِ فَتُغْضِبَهُمْ، وَلَا تَحْرُمُهُمْ عَطَايَاهُمْ عِنْدَ مَحَلِّهَا فَتُفْقِرَهُمْ،
وَلَا تُجَمِّرَهُمْ فِي الْبُعُوثِ فَتَقْطَعَ نَسْلَهُمْ^(١)، وَلَا تَجْعَلَ الْمَالَ دَوْلَةً^(٢) بَيْنَ
الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ، وَلَا تَغْلِقْ بَابَكَ دُونَهُمْ فَيَأْكُلَ قُوَّيُهُمْ ضَعِيفَهُمْ.
هَذِهِ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ، وَأُشْهِدُ اللَّهَ عَلَيْكَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ.

☆ ☆ ☆

(١) أي لا تُطِلْ فترة إرسالهم في الغزاة.

(٢) أي: لا تجعله وقفاً على الأغنياء.

الفصل الرابع :

معاوية بن أبي سفيان يُوصي ابنه يزيد

لما حضرت الوفاة معاوية بن أبي سفيان^(١)، وابنه يزيد^(٢) غائب، دعا مسلم بن عقبة المرّي^(٣)، والضحّاك بن قيس الفهري^(٤)، فقال^(٥):

-
- (١) هو معاوية بن «أبي سفيان» صخر بن حرب بن أمّية (٢٠ق.هـ/٦٠٣م - ٦٠هـ/٦٨٠م) مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب. كان فصيحا حليما وقورا. ولد بمكة ولما تعلّم الكتابة جعله رسول الله (ﷺ) في كتابه. ولاء عمر على الأردن. نشبت بينه وبين علي بن أبي طالب حروب طاحنة وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام وإمامة عليّ في العراق (الزركلي: الأعلام: ٧/٢٦١).
- (٢) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٢٥هـ/٦٤٥م - ٦٤هـ/٦٨٣م) ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه. وفي أيامه كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد «الحسين بن عليّ» وكان نزوعاً إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. (الزركلي: الأعلام ٨/١٨٩).
- (٣) هو مسلم بن رباح المرّي (٦٣هـ/٦٨٣م) قائد من الدهاة القساة في العصر الأموي. أدرك النبي (ﷺ) وشهد صفّين مع معاوية، وكان فيها على الرجال. وقلعت عينه. غزا المدينة وأسرف في قتل أبنائها، ونهب ممتلكاتهم، فسماه أهل الحجاز «مسرفاً». (الزركلي: الأعلام ٧/٢٢٢).
- (٤) هو الضحّاك بن قيس بن خالد الفهري (٥هـ/٢٦٢م - ٦٥هـ/٦٨٤م) سيّد بني فهر في عصره، وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق وسكنها. وشهد صفّين مع معاوية. قام بخلافة معاوية إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه انصرف يدعو إلى ابن الزبير في دمشق (الزركلي: الأعلام ٣/٢١٤ - ٢١٥).
- (٥) المعمّرون ص ١٥٥ - ١٥٦.

أبلغنا عني يزيد وقولا له :
أنظرُ إلى أهل الحجاز، فهم أضلُّك وعِترُك^(١)، فمن أتاكَ منهم
فاكرِمْهُ، ومن قَعَدَ عَنْكَ فَتَعَهَّدْهُ.
وأنظرُ إلى أهل العراق، فإن سألوك عَزَلَ عاملٍ لَهُمْ في كُلِّ يومٍ
فَاعْزِلْهُ عَنْهُمْ، فإنَّ عَزَلَ عاملٍ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ سَلِّ مِئَةِ أَلْفِ سَيْفٍ، ثُمَّ
لا تدري على ما أَنْتَ عليه منهم.

ثمَّ انظرُ أهل الشام، فأجعلُهُم الشُّعَارَ دُونَ الدِّثَارِ، فإن رابَكَ مِنْ
عَدُوِّكَ رَيْبٌ فَأَرْمِهِمْ بِهِمْ، فإنَّ أَظْفَرَكَ اللهُ بِهِمْ، فَأَرُدُّ أَهْلَ الشَّامِ إِلَى
بِلَادِهِمْ، وَلا يُقِيمُوا فِي غَيْرِ بِلَادِهِمْ فَيَتَأَدَّبُوا بِغَيْرِ أَدَبِهِمْ.

لَسْتُ أَخَافُ عَلَيْكَ غَيْرَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِ^(٢)، وَعَبْدَ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ^(٣)،
وَحُسَيْنَ بْنِ عَلِيٍّ^(٤)، فَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍ، فَرَجُلٌ قَدْ وَقَّذَهُ الْوَرَعُ، وَأَمَّا
الْحُسَيْنُ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكْفِيكَهُ اللهُ بِمَنْ قَتَلَ أَبَاهُ، وَخَذَلَ أَخَاهُ، وَأَمَّا ابْنُ

(١) العترة: العشيرة.

(٢) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي (١٠ق.هـ/٦١٣م - ٧٣هـ/٩٩٢م) صحابيٌّ
من أعزَّ بيوتات قريش في الجاهليَّة. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه،
وشهد فتح مكة. غزا أفريقيا مرَّتين، وكفَّ بصره في آخر حياته (الزركلي: الأعلام
١٠٨/٤).

(٣) هو عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي (١هـ/٦٢٢م - ٧٣هـ/٦٩٢م). بويع
له بالخلافة سنة ٦٤هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر، والحجاز،
واليمن، وخراسان، والعراق، وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له
مع الأمويين وقائع هائلة حتى سيَّروا إليه الحجاج الثَّقَفِيَّ، فانتصر على ابن الزبير
وقتلَه. (الزركلي: الأعلام ٨٧/٤).

(٤) هو الحسين بن علي بن أبي طالب (٤هـ/٦٤٥م - ٦١هـ/٦٨٠م) السبط الشهيد، ابن
فاطمة الزهراء. تخلف عن مبايعة يزيد بن معاوية، فوجَّه إليه يزيد جيشاً اعترضه في
كربلاء، فنشب قتال عنيف، قُتل فيه الإمام الحسين. ويُعتبر يوم مقتله يوم حزنٍ عند
جميع المسلمين، وخاصَّةً الشيعة (الزركلي: الأعلام ٢٤٣/٢).

الزبير، فَإِنَّهُ خَبُّ ضَبٍّ، فَإِذَا طَلَعَ فَابْتَلَاهُ، فَقَلَّمَا مَارَسَتْ رَجُلًا مِثْلَهُ،
فَوَاللَّهِ لَوْ قَذَفْتُهُ فِي بئرٍ مَمْلُوءَةٍ زِفْتًا لَخَرَجَ مِنْهَا مُتَمَلِّسًا.

☆ ☆ ☆

الفصل الخامس :

أبو جعفر المنصور يوصي ولده المهديّ

قال أبو جعفر المنصور^(١) يوصي ولده المهديّ^(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهدَ عبدُ الله أميرُ المؤمنينَ إلى المهديّ مُحَمَّد بن أمير المؤمنين وليّ عهدِ المسلمين حينَ أسندَ وصيّتهُ بعدهُ وأستخلفه على الرعيّة من المسلمين وأهل الذمّة، وحرم الله وخزائنه وأرضه التي يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

إنَّ أمير المؤمنين يوصيك بتقوى الله في البلاد، والعملِ بطاعته في العباد، ويحذرك الحسرة والندامة، والفضيحة في القيامة، قبل حلول الموت، وعاقبة الفوت حين تقول: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾^(٣)، هيهات أين منك المهل، وقد أنقضى عنك الأجل، وتقول:

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس (٩٥هـ/٧١٤م - ١٥٨هـ/٧٧٥م) ثاني خلفاء العباسيين، وأول من عُني بالعلوم من ملوك العرب. كان عارفاً بالفقه والأدب، مقدّماً في الفلسفة والفلك، محبّاً للعلماء (الزركلي: الأعلام ١١٧/٤).

(٢) هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد (١٢٧هـ/٧٤٤م - ١٦٩هـ/٧٨٦م) من خلفاء الدولة العباسيّة. بنى جامع الرصافة. كان محمود العهد والسيرة، محبّاً إلى الرعيّة، حسن الخلق والخلق (الزركلي: الأعلام ٢٢١/٦).

(٣) سورة المنافقون، الآية ١٠.

﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾^(١)، فحِينَئِذٍ يَنْقَطِعُ عَنْكَ أَهْلُكَ، وَيَحِلُّ بِكَ عَمَلُكَ، فَتَرَى مَا قَدَّمْتَهُ يَدَاكَ، وَسَعَتْ فِيهِ قَدَمَاكَ، وَنَطَقَ بِهِ لِسَانُكَ، وَأَسْتَرْكَبْتَ عَلَيْهِ جَوَارِحُكَ، وَلَحَظْتَ لَهُ عَيْنُكَ، وَأَنْطَوَى عَلَيْهِ غَيْبُكَ، فَتُجْزَى عَلَيْهِ الْجِزَاءُ الْأَوْفَى، إِنْ شَرًّا فَشَرًّا، وَإِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، فَلْتَكُنْ تَقْوَى اللَّهِ مِنْ شَأْنِكَ، وَطَاعَتُهُ مِنْ بَالِكَ.

استَعِزْ بِاللَّهِ عَلَى دِينِكَ، وَتَقَرَّبْ بِهِ إِلَى رَبِّكَ وَنَفْسِكَ، فَخُذْ مِنْهَا، وَلَا تَجْعَلْهَا لِلْهَوَى، وَلَنْ تَعْمَلَ الشَّرَّ قَامِعًا، فَلَيْسَ أَحَدٌ أَكْثَرَ وَزْرًا، وَلَا أَعَزَّ إِثْمًا وَلَا أَعْظَمَ مُصِيبَةً، وَلَا أَجَلَ رِزِيَّةٍ مِنْكَ، لِتَكَاثُفِ ذُنُوبِكَ وَتَضَاعُفِ أَعْمَالِكَ، إِذْ قَلَّدَكَ اللَّهُ الرَّعِيَّةَ تَحْكُمُ فِيهِمْ بِمِثْلِ الذَّرَّةِ^(٢)، فَيَقْتَضُونَ مِنْكَ أَجْمَعُونَ، وَتُكَافَى عَلَى أَفْعَالٍ وَلا تِكَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ^(٣)، فَكَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أُوقِفْتَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ، وَخَذَلْتَ الْأَنْصَارُ، وَأَسْلَمْتَ الْأَعْوَانَ، وَطَوَّقْتَ الْخَطَايَا، وَقَرَفْتَ بِكَ الذُّنُوبُ، وَحَلَّ بِكَ الْوَجَلُ، وَقَعَدَ بِكَ الْفَشَلُ، وَكَلَّتْ حِجَّتُكَ، وَقَلَّتْ حِيلَتُكَ، وَأَخَذَتْ مِنْكَ الْحُقُوقُ، وَأَقْتَادَ مِنْكَ الْمَخْلُوقُ فِي يَوْمٍ شَدِيدٍ هَوْلُهُ، عَظِيمٍ كَرْبُهُ، تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ لَدَى الْحَنَاجِرِ، كَاطِمِينَ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ، فَمَا عَسَيْتَ أَنْ يَكُونَ حَالُكَ يَوْمَئِذٍ إِذَا خَاصَمَكَ الْخَلْقُ، وَأَسْتَقْصَى عَلَيْكَ الْحَقُّ، إِذْ لَا خَاصَّةَ تُنْجِيكَ، وَقَرَابَةَ تَحْمِيكَ، تَطْلُبُ فِيهِ التَّبَاعَةَ، وَلَا تُقْبَلُ فِيهِ الشَّفَاعَةُ، وَيُعْمَلُ فِيهِ بِالْعَدْلِ،

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩ - ١٠٠.

(٢) الذرّة: النملة.

(٣) سورة الزمر، الآيتان ٣٠ - ٣١.

وَيُقْضَى فِيهِ بِالْفَضْلِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١).

فَعَلَيْكَ بِالتَّشْمِيرِ لِدِينِكَ، وَالْاجْتِهَادِ لِنَفْسِكَ، فَافْكُكْ عُقُقَكَ، وَبَادِرْ يَوْمَكَ، وَأَخْذَرْ غَدَكَ، وَأَتَّقِ دُنْيَاكَ، فَإِنَّهَا دُنْيَا غَادِرَةٌ مُوبِقَةٌ، وَلْتَصْدُقْ اللَّهُ نَيْتَكَ، وَتَعْظُمَ إِلَيْهِ فَاقَتُكَ، وَلْيَتَّسِعْ إِنْصَافُكَ، وَيَنْبَسِطَ عَدْلُكَ، وَيُؤْمَنَ ظُلْمُكَ، وَوَاسِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ فِي الْاِحْتِكَامِ، وَأَطْلُبْ بِجُهِدِكَ رِضَى الرَّحْمَنِ.

وَأَهْلُ الدِّينِ، فَلْيَكُونُوا أَعْضَادَكَ، وَأَعْطِ حَظَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَوَفِّرْ لَهُمْ فَيَاهُمْ، وَتَابِعْ أُعْطِيَاتِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَعَجِّلْ بِنَفَقَاتِهِمْ إِلَيْهِمْ سَنَةً سَنَةً، وَشَهْرًا شَهْرًا. وَعَلَيْكَ بِعِمَارَةِ الْبِلَادِ بِتَخْفِيفِ الْخَرَجِ، وَأَسْتَصْلِحِ النَّاسَ بِالسَّيْرِ الْحَسَنَةِ وَالسِّيَاسَةِ الْجَمِيلَةِ، وَلْيَكُنْ أَهْمُ أُمُورِكَ إِلَيْكَ تَحْقِظُ اطْرَافِكَ، وَسَدُّ ثُغُورِكَ وَأَكْمَاشَ بُعُوثِكَ.

وَأَرْغَبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجِهَادِ وَالْمُحَامَاةِ عَنْ دِينِهِ، وَإِهْلَاكِ عَدُوِّهِ بِمَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيُمْكِنُ لَهُمْ فِي الدِّينِ، وَأَبْذُلْ فِي ذَلِكَ مُهْجَتَكَ وَنَجْدَتَكَ وَمَالَكَ، وَتَفَقَّدْ جُيُوشَكَ لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ، وَأَصْرِفْ مَرَائِزَ خَيْلِكَ، وَمَوَاطِنَ رَحْلِكَ، وَبِاللَّهِ فَلْيَكُنْ عِصْمَتُكَ وَحَوْلُكَ وَقُوَّتُكَ، وَعَلَيْهِ فَلْيَكُنْ ثِقَّتُكَ وَأَقْتِدَارُكَ وَتَوَكُّلُكَ، فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ وَيُغْنِيكَ وَيَنْصُرُكَ، وَكَفَى بِهِ مُؤَيِّدًا وَنَصِيرًا.^(٢)

☆ ☆ ☆

وقال في وصية أخرى^(٣):

(١) سورة غافر، الآية ١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩٢ - ٣٩٤.

(٣) جمهرة وصايا العرب ص ١٠٨ - ١٠٩.

أوصيك بتقوى الله ومراقبته، وعلىك بإكرام أهل بيتك وإعظامهم، ولا سيما من استقامت طريقته، وطهرت سيرته، وحسنت مودته فيهم، فإن أقرب الوسائل المودّة، وأبعد الطيب البغضة، وأذكر أهل الجزالة والفضل والعقل منهم، فشرّفهم وأوطىء الرجال أعقابهم، فإنه لا يزال لأمر القوم فطام ما كانت لهم أعلام، وأجزل لهم الإعطاء، ووسع عليهم في الأزواق، فإن أكثر الناس مؤونة أعظمهم مروءة، ثم ليكن معروفك لغيرهم بعدهم، فإن الصلة تزيد الإلفة، وصفهم ينبلوا، ولا تبدلهم فيخلعوا.

وأعلم أن رضا الناس غاية لا تدرك، فتحبب إليهم بالإحسان جهدك، وتثبت فيما يرد من أمورهم عليك، ووكّل همومك بأمرهم، وتفقد الصغير، تفقدك الكبير، وخذ أهبة الأمر قبل حلوله، فإن ثمرة التواني الإضاعة، وكُن عند رأس كل أمر لا عند ذنبه، فإن المستقبل لأمره سابق، والمستدير له مسبوق، وولّ أمورك الفاضل يَكُن مُستعلياً، ولا تولّ المفضول فإنه مُزِر باختيارك، وأنظر الأموال فإنها عدّة الملوك، وبها السلطان ونظام التدبير، فوفرها بولاية أهل العفاف عنها، والحيطة عليها، ولا تبدلها إلا في إصلاح أمور السلطان والرعية، وثواب أهل الطاعة والنصيحة.

وأحسن إلى نصحائك، وأستدِم مودّتهم ومحبتهم بجميل التعهد لهم، والتفقد لأمرهم، ولا تعط عطية تُبطرُ الخاص، وتؤسف العام، وأجعل لكلّ إليك حاجة، وأجعل لهم من فضلك مائة، وأسمع من أهل التجارب، ولا تردّد ذوي الرأي، وعود نفسك الصبر على التعب في إصلاح الرعية، وأترك الهوينا والدعة، وأعلم أن ذهاب السلطان يؤتى من ثلاثة أمور: قلة الحزم، وضعف العزم، وفقد صالح الأعوان، وإن

ثَبَاتُهُ بِأَرْبَعِ خِلَالٍ: الْمَعْرِفَةُ، وَحُسْنُ التَّخَيُّرِ، وَإِمْضَاءُ الْإِخْتِيَارِ، وَتَنَكُّبُ أَهْلِ الْحِرْصِ، فَإِنَّ الْحَرِيصَ لَا يَبِيعُكَ بِالْيَسِيرِ مِنْ حَظِّهِ وَشَرِّهِ، وَالْوُزَرَاءُ أَضَرُّ الْأَعْدَاءِ، وَمَنْ خَانَكَ كَذَبَكَ، وَمَنْ كَذَبَكَ غَشَّكَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَادَّةَ الرَّأْيِ الْمَشَاوَرَةِ، فَأَخْتَرْ لِمُشَاوَرَتِكَ أَهْلَ أَلْبَبٍ وَالرَّأْيِ وَالصَّدْقِ وَكُتْمَانِ السِّرِّ، وَكَافِيءَ بِالْحَسَنَةِ، وَتَجَاوَزْ عَنِ السَّيِّئَةِ، مَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ ثَلَمٌ دِينٍ، وَلَا وَهْنٌ سُلْطَانٍ، وَدَعِ الْإِنْتِقَامَ فَإِنَّهُ أَسْوَأُ أَفْعَالِ الْقَادِرِ، وَقَدْ أَسْتَعْنَى عَنِ الْحَقْدِ مَنْ عَصَتْهُمْ عَنِ الْمَجَازَاةِ، وَعَاقِبُ بِقَدْرِ الذَّنْبِ، وَأَعْفُ عَنِ الْخَطَا، وَأَقِلَّ الْعَثَرَاتِ مِنْ أَهْلِ الرَّحْمَةِ وَالْبَلَاءِ، وَعَلَيْكَ بِبِلَادِ نِعْمَتِكَ وَمَوَالِيكَ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا مِنْ الْآفَاقِ، فَإِنَّهُمْ أَنْصَحُ النَّاسِ، وَأَشَدُّهُمْ سَعْيًا فِي بَقَاءِ دَوْلَتِكَ، فَإِنَّمَا عِرْضُهُمْ بِعِزِّكَ، وَتَجَنَّبْ دَقِيقَ أَخْلَاقِ الْعِرَاقِ، فَإِنَّهُمْ نَشَأُوا عَلَى الْخُبْثِ وَمَذْمُومِ الْخَلَاقِ، وَإِذَا أَطْلَعْتَ مِنْ خَاصِّيَّتِكَ وَأَهْلِي نِعْمَتِكَ عَلَى مُفْسِدٍ لِنَصِيحَتِكَ فَلَا تُقِلُّهُ عُثْرَةً، وَلَا تَرْعَ لَهُ حُرْمَةً، وَدَعِ الْإِعْتِرَازَ بِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ أَغْتَرَزْتَ بِهِ كُنْتَ كَمُدْخِلِ الْحَيَّةِ دُونَ شِعَارِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

☆☆☆

الباب الثالث

من وصايا الخلفاء وغيرهم

إلى أمراء الجيوش

(وصايا الحرب)

الفصل الأول :

أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ يُوصِي بَنِي تَمِيمٍ

قال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ^(١)، يُوصِي بَنِي تَمِيمٍ يَوْمَ الْكَلَابِ^(٢)، حِينَ سَارَتْ إِلَيْهِمْ مَذْحَجٌ^(٣):

استشيروا، وَأَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أُمَرَائِكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الصِّيَاحِ فِي الْحَرْبِ، فَإِنَّ الصِّيَاحَ مِنَ الْفُشْلِ، وَكُونُوا جَمِيعًا^(٤)، فَإِنَّ الْجَمِيعَ غَالِبٌ، وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا الْمَحَالَةَ^(٥)، تَثَبُّتُوا وَلَا تُسَارِعُوا، فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ أَرْكَنُهُمَا. وَرَبَّ عَجَلَةٍ تَهْبُ رَيْثًا^(٦). وَتَنْمَرُوا لِلْحَرْبِ، وَادَّرِعُوا اللَّيْلَ، وَاتَّخَذُوهُ جَمَلًا^(٧)، فَإِنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ^(٨)، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ.

☆ ☆ ☆

(١) هو أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ بْنُ رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ (١٠٠-٩٩هـ / ٦٣٠م) حَكِيمُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. عَاشَ زَمَنًا طَوِيلًا، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ، وَقَصَدَ الْمَدِينَةَ فِي مِئَةِ مَنْ قَوْمِهِ يَرِيدُونَ الْإِسْلَامَ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ، وَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَسْلَمَ مَنْ بَلَغَ الْمَدِينَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ (الزُّرْكَلِيُّ: الْأَعْلَامُ ٦/٢).

(٢) هو مَعْرَكَةُ بَجْرَتِ بَيْنِ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي مَذْحَجٍ.

(٣) جَمَهْرَةُ خُطْبِ الْعَرَبِ ١/١٣٥.

(٤) أَي: مُتَعَاوِنِينَ.

(٥) هَذَا مِثْلُ عَرَبِيٍّ وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْحَيْلَ لَا يَضِيقُ بِهَا إِلَّا الْعَاجِزَ.

(٦) الرِّيثُ: الْبَطْءُ، وَهَذَا مِثْلُ عَرَبِيٍّ يَضْرِبُ لِمُضَرَّةِ التَّائِي.

(٧) هَذَا مِثْلُ عَرَبِيٍّ.

(٨) هَذَا مِثْلُ عَرَبِيٍّ.

الفصل الثاني :

أبجر بن جابر يوصي بنيه

قال أبجر بن جابر^(١) لبيه^(٢):

يا بَنِيَّ، إِنْ سَرَّكُمْ طَوْلُ الْبَقَاءِ، وَحُسْنُ الثَّنَاءِ، وَالنَّكَايَةُ فِي الْأَعْدَاءِ،
فَإِذَا اسْتَقْبَلْتُمْ الْخَمِيسَ، فَاسْتَقْبِلُوهُمْ بِوُجُوهِكُمْ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَمْنَحُوهُمْ
أَكْتَاْفَكُمْ فَتُطْعَنُوا بِالرَّمَاكِ فِي أَدْبَارِكُمْ، فَإِنَّ أَمْثَلَ الْقَوْمِ بَقِيَّةَ الصَّابِرِ عِنْدَ
نُزُولِ الْحَقَائِقِ.

☆ ☆ ☆

(١) هو أبجر بن جابر العجلي، من بني بكر من وائل. كان نصرانيًا، وأدرك الإسلام، ولم يُسلم. كان ابنه حجار سيد بني بكر. مات أيام مقتل الإمام علي بن أبي طالب.

(٢) المعمرون ص ١٣٩.

الفصل الثالث :

أبو بكر الصديق يوصي أسامة بن زيد

قال أبو بكر الصديق^(١) يوصي أسامة بن زيد^(٢) حين سيّره إلى أبنى^(٣):

يا أيّها الناس، قِفُوا أَوْصِيَكُمْ بِعَشْرِ فَأَحْفَظُوهَا عَنِّي، لَا تَخُونُوا، وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدُرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلاً صَغِيراً، وَلَا شَيْخاً كَبِيراً، وَلَا أَمْرَأَةً، وَلَا تَقْعَرُوا نَحْلاً^(٤) وَلَا تُحْرِقُوهُ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلَا تَذَبَحُوا شَاةً، وَلَا بَقَرَةً، وَلَا بَعِيراً إِلَّا لِمَا كَلَّه، وَسَوْفَ تَمْرُونُ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِ؛ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، وَسَوْفَ تَقْدِمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بَأْنِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَتَلْقَوْنَ أَقْوَاماً قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رُؤُوسِهِمْ. وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفِقُوهُمْ بِالسَّيْفِ خَفَقاً. ائِدْفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ.

☆ ☆ ☆

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الباب الثاني من كتابنا هذا.
(٢) هو أسامة بن زيد بن حارثة (٧ق.هـ/٦١٥م - ٥٤هـ/٦٧٤م) صحابي جليل، ولد بمكة، ونشأ على الإسلام، وكان رسول الله (ﷺ) يحبه كثيراً، فأمره قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وكان مظفراً (الزركلي: الأعلام ١/٢٩١).
(٣) جمهرة خطب العرب ١/١٨٧.
(٤) أي: لا تقتلوه.

الفصل الرابع :

أبو بكر الصديق يوصي خالد بن الوليد

قال أبو بكر الصديق^(١) يوصي خالد بن الوليد^(٢)، لَمَّا جَهَّزَهُ لِقِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ^(٣).

يَا خَالِدُ، عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالرَّفْقِ بِمَنْ مَعَكَ مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ، أَهْلَ السَّابِقَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَشَاوِرْهُمْ فِيمَا نَزَلَ بِكَ، ثُمَّ لَا تُخَالِفْهُمْ، وَقَدِّمُ أَمَامَكَ الطَّلَائِعَ تَرْتَدُّ إِلَيْكَ الْمَنَازِلَ، وَسِرُّ فِي أَصْحَابِكَ عَلَى تَعْبِيَةٍ جَيِّدَةٍ، فَإِذَا لَقِيتَ أَسَدًا وَغَطْفَانًا، فَبَعْضُهُمْ لَكَ، وَبَعْضُهُمْ عَلَيْكَ، وَبَعْضُهُمْ لَا عَلَيْكَ وَلَا لَكَ، مُتَرَبِّصٌ دَائِرَةَ السُّوءِ، يَنْظُرُ لِمَنْ تَكُونُ الدَّائِرَةُ، فَيَمِيلُ مَع مَنْ تَكُونُ الْغَلْبَةُ، وَلَكِنْ الْخَوْفَ عِنْدِي مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَلَى قِتَالِهِمْ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّهُمْ رَجَعُوا بِأَسْرِهِمْ، فَإِنْ كَفَاكَ اللَّهُ الضَّاحِيَةَ فَأَمْضِ إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ. سِرْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ.

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (١٠٠ - ١٢هـ / ٦٤٢م). كان من أشرف قريش في الجاهلية. أسلم قبيل فتح مكة، فولاه الرسول (ﷺ) الخيل. ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة ومن ارتدّ من أعراب نجد، ثم سيّره إلى العراق سنة ١٢هـ، ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه. كان مظفراً خطيباً فصيحاً. (الزركلي: الأعلام ٣٠٠/٢).

(٣) جمهرة وصايا العرب ١/١٥١.

الفصل الخامس :

أبو بكر الصديق يُوصي سعد بن أبي وقاص

قال أبو بكر الصديق^(١) يوصي سعد بن أبي وقاص^(٢) حين أمره على حرب العراق^(٣):

يا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي وَهَيْبٍ، لَا يَغُرَّتْكَ مِنْ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ، فَالنَّاسُ شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ، اللَّهُ رَبُّهُمْ، وَهُمْ عِبَادُهُ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ، وَيُذَرِّكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ، فَأَنْظِرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ مُنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَالْزَمَهُ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ، هَذِهِ عِظَتِي إِيَّاكَ، إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.



(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني، من الباب الثاني من كتابنا هذا.
(٢) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف (٢٣ق.هـ/٦٠٠م - ٥٥هـ/٦٧٥م) الصحابي الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عيّنهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال له فارس الإسلام (الزركلي: الأعلام ٣/٧٨).
(٣) جمهرة خطب العرب ١/٢٢٤.

الفصل السادس:

عمر بن الخطاب يُوصي سعد بن أبي وقاص لَمَّا وَجَّهه لِقِـتالِ الفرس

قال عمر بن الخطاب^(١)، رضي الله عنه، يُوصي سعد بن أبي وقاص^(٢)،
لَمَّا وَجَّهه لِقِـتالِ الفرس^(٣).

إني قَدْ وَلَّيْتُكَ حَرْبَ الْعِرَاقِ، فَاخْفِظْ وَصِيَّتِي، فَإِنَّكَ تَقْدِمُ عَلَى أَمْرٍ
شَدِيدٍ كَرِيهٍ، لَا يُخَلِّصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ، فَعَوِّدْ نَفْسَكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرَ
وَأَسْتَفْتِخْ بِهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عِتَادًا، فَعِتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ، فَالصَّبْرُ
الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ
اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ، فِي طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ
أَطَاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ، وَعَصَاهُ مَنْ عَصَاهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ
الْآخِرَةِ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْشَاءً، مِنْهَا السِّرُّ، وَمِنْهَا الْعَلَانِيَةُ،
فَأَمَّا الْعَلَانِيَةُ فَأَنْ يَكُونَ حَامِدُهُ وَذَامُّهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَلَا تَزْهَدْ فِي
التَّحَبُّبِ، فَإِنَّ النَّبِيْنَ قَدْ سَأَلُوا مُحَبَّتَهُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ
النَّاسِ مِمَّنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ.

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثاني من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) تقدّمت ترجمته في الفصل السابق.

(٣) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٢٥.

الفصل السابع :

علي بن أبي طالب يُوصي معقل بن قيس الرياحي

قال الإمام علي بن أبي طالب^(١)، رضي الله عنه، يُوصي معقل بن قيس الرياحي^(٢)، حين أرسله إلى الشام في ثلاثة آلاف مقاتل^(٣) :
اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرِّ الْبَرِّدِينَ^(٤)، وَغَوِّزِ النَّاسَ، وَرَفِّهِ بِالسَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا، وَقَدَّرَهُ مَقَامًا لَا ظَعْنًا، فَأَرِخْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوْحُ ظَهْرِكَ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ، فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا، وَلَا تَذَنْ مِنْ أَلْقَوْمٍ دُنُوٌّ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَنْشِبَ الْحَرْبَ، وَلَا تَبَاعِذْ عَنْهُمْ تَبَاعِذَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَاؤُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ.

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول من كتابنا هذا.
(٢) هو معقل بن قيس الرياحي (٤٣-١٠٠ هـ / ٦٦٣ م) قائد من الشجعان الأجواد. كان من أمراء الصفوف يوم الجمل، وولي شرطة علي بن أبي طالب (الزركلي: الأعلام ٧/ ٧١ م).

(٣) نهج البلاغة ٣/ ١٤.

(٤) أي: سير في الغداة والعشي.

الفصل الثامن :

عليّ بن أبي طالب يوصي عسكره

قال الإمام علي بن أبي طالب^(١)، رضي الله عنه، يُوصي عسكره قبيل معركة صفين^(٢):

لا تُقاتِلوهم حتى يبدأوكم، فإنَّكم بحمدِ الله على حُجَّةٍ، وترككم إياهم حتى يبدأوكم حُجَّةٌ أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذنِ الله، فلا تقتلوا مُدبراً، ولا تُصيبوا مُعوراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنَّهنَّ ضَعِيفاتُ القُوى والأنفسِ والعُقُولِ، إن كُنَّا لنؤمرُ بالكفِّ عنهنَّ وإنَّهنَّ لمُشْرِكَاتٌ، وإن كانَ الرَّجُلُ ليتناولُ المرأةَ في الجاهلية بالفِهْرِ أو الهراوة فيُعَيِّرُ بها وعقبه من بعده.

☆ . ☆ . ☆

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأوّل من كتابنا هذا.

(٢) نهج البلاغة ١٤/٣.

الفصل التاسع :

أبو جعفر المنصور يُوصي عيسى بن موسى

قال أبو جعفر المنصور^(١) يُوصي عيسى بن موسى^(٢) لما وجهه
لحرب بني عبدالله بن الحسن^(٣):

يا أبا موسى، إذا صرّت إلى المدينة فادعُ محمد بن عبدالله بن
الحسن إلى الطاعة والدخول في الجماعة، فإن أجابك فأقبل منه، وإن
هرب منك فلا تتبعه، وإن أبى إلا الحرب فناجزه وأستعن بالله عليه،
فإذا ظفرت به فلا تخيفن أهل المدينة، وعمنهم بالعفو، فإنهم الأصل
والعشيرة، وذريّة المهاجرين والأنصار، وجيران قبر النبي صلى الله عليه
وسلم، فهذه وصيتي إياك، لا كما أوصى به يزيد بن معاوية مسلم بن
عقبة حين وجهه إلى المدينة وأمره أن يقتل من ظهر له إلى ثنية الوداع،
وأن يبيحها ثلاثة أيام ففعل، فلما بلغ يزيد ما فعله تمثّل بقول ابن

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الخامس من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) هو عيسى بن موسى بن محمد العبّاسيّ (١٠٢هـ/٧٢١م - ١٦٧هـ/٧٨٣م) أمير من
الولاية القادة، وهو ابن أخي السفّاح. كان من فحول أهله أو ذوي النجدة والرأي
منهم، وله شعر جيد. ولأه عمه الكوفة وسوادها، وجعله وليّ عهد المنصور
(الزركلي: الأعلام ١٠٩/٥ - ١١٠).

(٣) العقد الفريد ٨٦/٥ - ٨٧.

الزُّبَيْرِيُّ فِي يَوْمِ أُحُدٍ حَيْثُ قَالَ:

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ
ثُمَّ أَكْتُبُ إِلَى مَكَّةَ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالصَّفْحِ، فَإِنَّهُمْ آلُ اللَّهِ وَجِيرَانُهُ
وَسَكَانُ حَرَمِهِ وَأَمْنِهِ، وَمَنْبِتُ الْقَوْمِ وَالْعَشِيرَةِ، وَعُظْمُ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ، لَا
تُلْحَدُ فِيهِ بِظُلْمٍ، فَإِنَّهُ حَرَمُ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ مِنْهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَشَرَّفَ بِهِ
آبَاءَنَا لِتَشْرِيفِ اللَّهِ إِيَانَا، فَهَذِهِ وَصِيَّتِي، لَا كَمَا أَوْصَى بِهِ الَّذِي وَجَّهَ
الْحَجَّاجَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ الْمَجَانِيقَ عَلَى الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يُلْحَدَ فِي
الْحَرَمِ بِظُلْمٍ فَفَعَلَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ.

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ
لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا وَتَبْطُشُ حِينَ تَبْطُشُ قَادِرِينَا

☆ ☆ ☆

الباب الرابع

من وصايا الخلفاء

الى ولاية الأمطار

الفصل الأول:

علي بن أبي طالب يُوصي قيس بن سعد

قال علي بن أبي طالب^(١)، رضي الله عنه، يُوصي قيس بن سعد^(٢)،
حين ولّاه مصر^(٣):

سِرْ إِلَى مِصْرَ فَقَدْ وَلَّيْتُكَهَا، وَأَخْرِجْ إِلَى رَحْلِكَ، وَأَجْمَعْ إِلَيْكَ
ثِقَاتَكَ، وَمَنْ أَحَبَّتْ أَنْ يَصْحَبَكَ حَتَّى تَأْتِيَهَا وَمَعَكَ جُنْدٌ، فَإِنَّ ذَلِكَ
أَرْعَبُ لَعَدُوِّكَ، وَأَعَزُّ لَوْلِيِّكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَأَخْسِنْ إِلَى
الْمُحْسِنِينَ، وَأَشْتَدَّ عَلَى الْمُرِيبِ، وَأَرْفُقْ بِالْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، فَإِنَّ الرَّفْقَ
يُؤْمِنُ.



(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول من هذا الكتاب.

(٢) هو قيس بن سعد بن عبادة (١٠٠هـ / ٦٨٠ م) والٍ صحابيٍّ، من دهاة العرب، ذوي
الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين. كان شريف قومه
غير مدافع، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي (ﷺ)، ويولي أموره، صحب عليّاً في
خلافته، فاستعمله على مصر (الزركلي: الأعلام ٢٠٦/٥).

(٣) تاريخ الطبري ٢٢٧/٥.

الفصل الثاني :

معاوية بن أبي سفيان يُوصي عمرو بن العاص

قال معاوية بن أبي سفيان^(١) يُوصي عمرو بن العاص^(٢) لما وجهه إلى مصر^(٣):

أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق، فإنه يُمنّ، وبالمهل والتؤدة، فإن العجلة من الشيطان، وبأن تقبل ممن أقبل، وأن تعفو عن أدبر، فإن قبل فيها ونعمت، وإن أبى، فإن السطوة بعد المغذرة أبلغ في الحجة، وأحسن في العاقبة، وأدع الناس إلى الصلح والجماعة، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك أثر الناس عندك، وكل الناس فأول حسناً.

☆☆☆

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الرابع من الباب الثاني من كتابنا هذا.
(٢) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي (٥٠ ق هـ / ٥٧٤م - ٤٣ هـ / ٦٦٤ م) فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الحزم والرأي والمكيدة فيهم. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. ولأه النبي (ﷺ) إمرة جيش ذات السلاسل، ثم استعمله على عُمان. كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية. ولأه عمر فلسطين، ثم مصر فافتتحها (الزركلي: الأعلام ٧٩/٥).
(٣) تاريخ الطبري ٥٧/٦.

الفصل الثالث :

مروان بن الحكم يُوصي ابنه عبد العزيز

قال مروان بن الحكم^(١) يوصي ابنه عبد العزيز^(٢) حين استعمله على مصر، فقال له حين ودَّعه: أَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِه^(٣):

أَيُّ بُنَيٍّ، أَنْظِرْ إِلَى أَعْمَالِكَ، فَإِنْ كَانَ لَهُمْ عِنْدَكَ حَقٌّ غُدْوَةً، فَلَا تُؤَخِّرُهُ إِلَى عَشِيَّةٍ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ عَشِيَّةٌ، فَلَا تُؤَخِّرُهُ إِلَى غُدْوَةٍ، وَأَعْطِهِمْ حُقُوقَهُمْ عِنْدَ مَحَلِّهَا تَسْتَوْجِبُ بِذَلِكَ الطَّاعَةَ مِنْهُمْ.
وَإِيَّاكَ أَنْ يَظْهَرَ لِرَعِيَّتِكَ مِنْكَ كَذِبٌ، فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرَ لَهُمْ مِنْكَ كَذِبٌ لَمْ يُصَدِّقُوكَ فِي الْحَقِّ.

وَأَسْتَشِيرْ جُلَسَاءَكَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَبِينَ لَكَ؛ فَارْتَبِطْ إِلَيَّ، يَأْتِكَ

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص (٢هـ/٦٢٣ م - ٦٥هـ/٦٨٥ م) خليفة أموي، وأوّل من ضرب الدنانير الشاميّة. توفّي بدمشق بعد أن حكم تسعة أشهر و١٨ يوماً (الزركلي: الأعلام ٢٠٧/٧).

(٢) هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم (٨٥هـ - ١٠٠هـ) ولي مصر لأبيه. فسكن حلوان، وبنى فيها الدور والمساجد، وغرس بها كرمًا ونخيلًا، وتوفي بها (الزركلي: الأعلام ٢٨/٤).

(٣) العقد الفريد ٤٢/١؛ والقول الأخير مثل عربيّ.

رأبي فيه إن شاء الله تعالى .

وإن كان بك غضبٌ على أحدٍ من رعيَّتِكَ، فلا تُؤاخِذْهُ فيه عندَ سورَةِ الغَضَبِ، وأحسِّ عَنْهُ عُقُوبَتَكَ حتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ، ثمَّ يكونُ مِنْكَ ما يكونُ وأنتَ ساكِنُ الغَضَبِ، مُنْطَفِئُ الجَمْرَةِ، فإنَّ أَوَّلَ مَنْ جَعَلَ السَّجْنَ كانَ حَلِيمًا ذا أناةٍ.

ثمَّ أنْظِرْ إلى أَهْلِ الحَسَبِ والدِّينِ والمُروءَةِ، فليَكونُوا أَصْحَابَكَ وجُلُساءَكَ، ثمَّ أَعْرِفْ مَنَازِلَهُمْ مِنْكَ على غيرِ اسْتِزْسالٍ، ولا أنْقِباضٍ. أقولُ هذا وأَسْتَخْلِفُ اللهَ عَلَيْكَ.

☆ ☆ ☆

الباب الخامس

من وصايا الآباء
إلى الأبناء

الفصل الأول:

وصية أحيقار الى ابنه نادان

كان أحيقار الحكيم مستشاراً في بلاط الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) وبلاط الملك الآشوري أسرحدون (٦٨٠-٦٦٨ ق.م). كان كثير المال، متعدد الزوجات، ولكنه لم يكن له ابن يرثه. تبني أحيقار ابن أخته نادان الذي ساءت سيرته، فحرمه من الميراث، وتبني أخاه الأصغر نبوزروان.

حقد نادان على خاله، وأراد الإيقاع به، فزور رسائل باسمه موجهة إلى فرعون مصر، وملك الفرس تدعوها إلى التواطؤ معه لقلب نظام الحكم الآشوري. ووقعت الرسائل بيد أسرحدون، فحكم عليه بالموت، ولكن أحيقار نجا بفضل صديقه الجلاد.

وطلب فرعون مصر من ملك آشور الإجابة عن بعض الأسئلة والألغاز، فكانت مناسبة لظهور أحيقار مجدداً، فاستعاد مركزه، وذهب إلى مصر حيث أجاب عن أسئلة الفرعون، وعاد محملاً بالهدايا. وكان جزاء نادان السجن والموت^(١). ولعل أحيقار هذا هو لقمان الحكيم العربي الوارد ذكره في القرآن الكريم. ووصيته التالية إلى ابنه بالتبني

(١) عن معجم الحضارات السامية لهنري عبودي. ص ٥٠.

نادان قالها له قبل خيانة هذا الأخير، ولأحقار وصية أخرى لنادان قالها له بعد الخيانة.

١- اسمع يا بني نادان، وافهم كلامي، واعتبر نصائحي كأنها نصائح إلهية.

يا بني نادان، إن سمعت كلمة، فاتركها تموت بقلبك، ولا تبخ بها لإنسان لئلا تصبح جمرة في فمك فتكويك، وتصم نفسك، ويغضب الله عليك.

٢- يا بني، لا تبخ بكل ما يصل مسمعك، ولا تقل شيئاً عما تراه.

٣- يا بني، لا تحل عقدة رُبُطت، ولا تعقد عقدة حُلَّت.

٤- يا بُني، لا ترفع عينيك الى امرأة متبرجة متكحلة، ولا تشتهيها بقلبك. فإنك إن أعطيتها كل ما ملكت يداك لن تجد فيها خيراً، وتقترف إثماً أمام الله. يا بني، لا تزنِ بامرأة صاحبك، لئلا يزني آخرون بامرأتك.

٥- يا بُني، لا تكن عجولاً متسرّعاً فإنك إذ ذاك تشبه شجرة اللوز التي تزهر قبل كل الأشجار، ويؤكل ثمرها بعد غيرها، بل كن سوياً عاقلاً كشجرة التوت التي تزهر آخر الأشجار، ولكن ثمرها يسبق كل الأثمار.

٦- يا بني، انظر بعينيك الى أسفل، واخفض صوتك، وتطلع الى تحت. فإنه لو كان المرء يستطيع أن يبني بيتاً بالصوت العالي المرتفع، لكان الحمار يستطيع أن يبني دارين في يوم واحد. ولو أن القوة الشديدة وحدها هي التي تجرّ المحراث، لكان النير لا يفارق كتف الجمل.

٧- يا بُني، إنه لأفضل للمرء أن ينقل الحجارة مع رجل حكيم من

أن يشرب خمراً مع جاهل.

٨- يا بُنَيَّ، اسكب خمرَكَ على قبور الصالحين، فإنَّ هذا أفضل من أن تشربه مع الأثمة.

٩- يا بُنَيَّ، إنَّكَ لن تفضلَ إذا عاشرت حكيماً، ومع الضال لن تتعلَّم حكمة.

١٠- يا بُنَيَّ، عاشر الحكيم، فإنَّكَ تصبح حكيماً، ولا تعاشر طويل اللسان والمهذار، فإنَّكَ تُعدّ واحداً معهما.

١١- يا بُنَيَّ، إذا كنت منتعلاً دس الشوك برجليك، ومهّذ سبيلاً لبنيك وبني بنيك.

١٢- يا بُنَيَّ، يأكلُ ابن الغني حَيَّةً، فيقول الناس: للشفاء أَكلها، ويأكلها ابن الفقير، فيقول الناس: من جوعه أَكلها.

١٣- يا بُنَيَّ، كلْ نصيبك، ولا تهزأً بجارِكَ.

١٤- يا بُنَيَّ، حتى الخبز لا تأكله مع قليل الحياء.

١٥- يا بُنَيَّ، لا تغتمّ لخير يناله مبغضك، ولا تفرح لشر يصيبه.

١٦- يا بُنَيَّ، لا تقرب امرأة وشواشة، ولا امرأة صحّابة.

١٧- يا بُنَيَّ، لا يغرّنك جمال المرأة، ولا تشتهيها بقلبك، لأنَّ

جمال المرأة طعمها وزينتها حلاوة كلامها.

١٨- يا بُنَيَّ، إذا جابهك بالشرّ، جابهه أنتَ بالحكمة.

١٩- يا بُنَيَّ، إنّ الاثيم يقع فلا ينهض، أمّا المستقيم فلا يتزعزع،

لأن الله معه.

٢٠- يا بُنَيَّ، لا تضنَّ على ابنك بالتأديب، لأنَّ ضرب الولد كالزبل

للحديقة، وكالرسن للحمار، أو لأيّ حيوان آخر، وكالقيد في رجل الحمار.

٢١- يا بُنَيَّ، اخضع ابنك وهو بعد طفل قبل أن يفوقك قوّة وشدّة،

- فيتمرد عليك، وتخجل من كل أعمال السوء التي يعملها.
- ٢٢- يا بني، اقتنِ ثوراً يربض، وحماراً ذا حوافر. ولا تقتنِ عبداً هارباً، ولا أمةً سرّاقة كي لا يضيعا عليك ما تملكه يدك.
- ٢٣- يا بني، إنّ كلام الكذاب كعصافير الدوريّ السمينة، ومن ليس فيه حكمة يأكلها.
- ٢٤- يا بني، لا تجلب عليك لعنة أبيك وأمك، وإلاّ فإنّك لن تفرح بنعمة بنيك.
- ٢٥- يا بني، لا تسرّ في الطريق بدون سلاح، فإنّك لست تدري متى يلقاك عدوك.
- ٢٦- يا بُنيّ، كما أنّ الشجرة تزهر بأغصانها وبثمرها، وكما يزهر الجبل بغاباته، هكذا يزهر الرجل بزوجته وأولاده. ومن ليس له زوجة ولا إخوة ولا بنون محقر ومرذول عند أعدائه. إنّهُ يشبه شجرة على جانب الطريق، كلّ عابر يقتطف منها، وكلّ حيوان البرّ يأكل من ورقها.
- ٢٧- يا بني، لا تقل: سيّدي جاهل مغفل، وأنا عاقل حكيم. بل امسكه متلبساً بأخطائه تنلّ رحمة ورضى منه.
- ٢٨- يا بني، لا تحسب نفسك حكيماً عاقلاً إذا لم يحسبك الناس حكيماً عاقلاً.
- ٢٩- يا بني، لا تكذب أمام سيّدك كي لا تحتقر ويقول إليك عنّي.
- ٣٠- يا بني، ليكن كلامك صادقاً ليقول لك سيّدك: اقترّب منّي فتحيا.
- ٣١- يا بُنيّ، في يوم مصيبتك وبؤسك لا تشتم ربك، فإنّه إذا سمعك يغضب عليك.

- ٣٢- يا بُنَيَّ، لا تعاملُ عبداً من عبيدك أحسن من معاملتك لصاحبه، فإنَّكَ لستَ تدري أيُّهما ستحتاج إليه آخر الأمر.
- ٣٣- يا بُنَيَّ، ارمِ حجارة على الكلب الذي يترك صاحبه ويجري خلفك.
- ٣٤- يا بُنَيَّ، إنَّ القطيع الذي يسلك مسالك عديدة يصبح فريسة الذئب.
- ٣٥- يا بُنَيَّ، اقضِ في شبابك قضاءً عادلاً كي تنال وقاراً في شببتك.
- ٣٦- يا بني، حَلِّ سِنِّكَ وأَكْسِبْ فمك طعاماً حلواً، فإنَّ ذنب الكلب يُطعمه خبزاً وفمه يُكسبه رجماً.
- ٣٧- يا بُنَيَّ، لا تدعُ صاحبك يدوس على رجلك، لئلاَّ يدوس رقبتك.
- ٣٨- يا بُنَيَّ، اصفع العاقل بكلمة حكيمة، فإنَّها تكون في قلبه كالحمى في الصَّيف، وإنَّ صَفَعَتَ الجاهل صفعاتٍ كثيرة، فإنَّه لا يفهم.
- ٣٩- يا بُنَيَّ، أرسلْ حكيماً ولا تُوصِه، وإنَّ كنتَ لترسل جاهلاً، فالأفضل أن تذهب أنت بنفسك.
- ٤٠- يا بُنَيَّ، امتحن ابنك بالخبز والماء، عندها ضع بين يديه ممتلكاتك وثروتك.
- ٤١- يا بُنَيَّ، كُنْ أوَّلَ من يقوم عن الوليمة، ولا تستمرّ لتناول الدهائن اللذيذة، ولا تستمرّ في شرب اللذائذ الساخنة كي لا تصاب بجراح في رأسك.
- ٤٢- يا بُنَيَّ، من كانت يده ملآنة سمّاه الناس حكيماً ووقوراً، ومن كانت يده فارغة سمّاه الناس مذنباً وسافلاً.

٤٣- يا بُنَيَّ، لقد حملتُ الملح، ونقلت الرصاص، ولكنِّي لم أرَ أثقل من وفاء المرء لدَيْنٍ مستحقٍّ لم يقترضه.

٤٤- يا بُنَيَّ، حملتُ الحديد، ونقلت صخوراً، فلم أجدها ثقيلة كثقل الرجل الذي يسكن في بيت حميه.

٤٥- يا بُنَيَّ، علِّم ابنك الجوع والعطش حتى يدبّر بيته كما ترى عيناه.

٤٦- يا بنيَّ، أعمى العينين أفضل من أعمى القلب، فإنَّ أعمى العينين يتعلَّم سريعاً طريقه فيسلكه، وأمّا أعمى القلب، فإنّه يترك الطريق المستقيم، ويهيم في الصحراء، فيضلّ.

٤٧- يا بُنَيَّ، إنّ صاحبك القريب خير من أخيك البعيد، والصّيت الحسن خير من الجمال الوافر، لأنّ الصّيت الحسن يدوم الى الأبد، وأمّا الجمال فيبلى ويزول.

٤٨- يا بُنَيَّ، إنّ الموت لمن لا راحة له خير من الحياة، وصوت العويل والندب في أذني الجاهل خير من صوت المزمار وأهازيج الفرع.

٤٩- يا بنيَّ، إنّ الكراع^(١) في يدك لأفضل من الفخذ في قدر غيرك. وشاة قريبة أفضل من ثور بعيد، وعصفور واحد في يدك خير من ألف عصفور طائر، وفقير مرفوق بتوفير أفضل من غنى يبذّر، وثوب من صوف تلبسه أفضل من الحرير والخزّ على الآخرين.

٥٠- يا بُنَيَّ، احفظ الكلام في قلبك أفضل لك. فإنّك عندما تفضي بما في صدرك تخسر صديقك.

(١) الكراع: مستدقّ الساق من البقر أو الغنم.

٥١- يا بُنَيَّ، لا تُخْرِجْ كلمة من فمك قبل أن تستشير عقلك، فإنه خيرٌ للرجل أن يعثر في قلبه من أن يعثر بلسانه.

٥٢- يا بُنَيَّ، إن سمعتَ كلمة سوء، فادفنها في الأرض على عمق سبعة أذرع.

٥٣- يا بُنَيَّ، جانبُ قوماً يتخاصمون، فإنَّ الخصام قد يؤدِّي الى قتل.

٥٤- يا بُنَيَّ، كلٌّ من لا يقضي قضاء عادلاً يغضب الربَّ..

٥٥- يا بُنَيَّ، ابتعدْ عن صديق أبيك لئلا صديقك، يوماً ما، لا يقترب إليك.

٥٦- يا بُنَيَّ، لا تدخلْ الى حديقة العظماء. ولا تقتربْ من بنات العظماء.

٥٧- يا بُنَيَّ، أعنْ صاحبك ضدَّ السلطان لتتمكن من أن تعينه ضدَّ الأسد.

٥٨- يا بُنَيَّ، لا تغتبطْ لموت عدوك.

٥٩- يا بُنَيَّ، عندما ترى رجلاً أشدَّ منك بطشاً، قم من أمام وجهه.

٦٠- يا بُنَيَّ، عندما يقف الماء دون أرض تسنده، وعندما يطير الطائر بدون جناح، وعندما يبيضُ الغراب، وعندما يحلو المرّ كالعسل، عندما تحدث هذه الأمور جميعها، يصبح الأحق حكيماً.

٦١- يا بُنَيَّ، إذا صرتَ كاهناً لله، فاحترس. ادخلْ الى حضرته بطهارة ونقاء، ولا تنصرف من أمام وجهه.

٦٢- يا بُنَيَّ، احترم الرجل الذي باركه الربُّ، وأحسنْ إليه.

٦٣- يا بُنَيَّ، لا تخاصم رجلاً في أوج عزّه، ولا تقفْ ضدَّ نهر في طغيانه.

٦٤- يا بُنَيَّ، إنَّ عين الإنسان كنبع ماء، لا تشبع من المال حتى تمتلئ تراباً.

- ٦٥- يا بُنَيَّ، إذا أردتَ أن تكونَ حكيماً، فاكفُفْ لسانك عن الكذب
ويدك عن السرقة، بذا تصبحَ حكيماً.
- ٦٦- يا بُنَيَّ، لا تتدخلْ في أمرِ زواجِ امرأة، فإنَّه إذا ابتأسَتْ في
زواجها لعنتْكَ، وإذا نجحتْ وسرَّتْ فإنَّها لا تذكرُكَ.
- ٦٧- يا بُنَيَّ، إنَّ الرجلَ الذي يتأثَّقُ في حديثه، والرجلَ الذي لا
يهتمُّ بملبسه لا يهتمُّ بحديثه.
- ٦٨- يا بُنَيَّ، إذا وجدتَ لُقيَّةً أمامَ صنم، فقدم للصنم نصيباً من
لقيتك.
- ٦٩- يا بني، إنَّ اليدَ التي شبعَتْ بعد جود لا تجود، وكذلك اليدُ
التي جاعت بعد شبع.
- ٧٠- يا بُنَيَّ، لا ترتفعَ عيناك إلى امرأة جميلة، ولا تَرُنْ إلى جمال
ليس لك، لأنَّ كثيرين أهلكهم جمال المرأة، وحبَّها كنار متَّقدة.
- ٧١- يا بُنَيَّ، إنَّه خير لك أن يضربكَ العاقل ضربات عديدة من أن
يُعطرَ جسمك الجاهل بالعطر.
- ٧٢- يا بُنَيَّ، لا تركضَ رجلك وراءَ صاحبك، ولا تدعه يشبع منك
فيبغضك.
- ٧٣- يا بُنَيَّ، لا تضعِ إسواراً ذهبياً في يدك، وأنتَ مُعْدَمٌ لئلاَّ يسخر
منك الجهَّال.



الفصل الثاني :

أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي يُوصِي بَنِيهِ

قال أكثم بن صيفي^(١) يُوصي بنيه^(٢) :

يا بَنِيَّ، قد أَتَتْ عَلَيَّ مائتا سَنَةٍ، وإني مزودكم من نَفْسي عَلَيْكُمْ بِالْبِرِّ
فإنَّهُ يُنْمي العَدَدَ، وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ، فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ^(٣)، إِنْ قَوْلَ
الْحَقِّ لَمْ يَدَعْ لِي صَدِيقًا، وَأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ مِنَ الْجَزَعِ التَّبَكِّي، وَلَا مِمَّا هُوَ
وَاقِعُ التَّوَقُّي، وفي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْغَرَرُ^(٤)، الْاِقْتِصَادُ فِي السَّعْيِ
أَبْقَى لِلْجَمَالِ^(٥)، وَمَنْ لَا يَأْسَ عَلَى مَا فَاتَهُ وَدَّعَ بَدَنَهُ، وَمَنْ قَنَعَ بِمَا هُوَ
فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ، التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ^(٦)، أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ^(٧)، لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ^(٨)، وَئِيلُ

(١) تقدّت ترجمته في الفصل الأول من الباب الثالث.

(٢) المعمرون ص ١٤؛ ومجمع الأمثال ٢/٢٦٥، وفي هذه الوصية عدد من الأمثال العربية.

(٣) هذا مثل عربي.

(٤) هذا مثل عربي.

(٥) هذا مثل عربي.

(٦) هذا مثل عربي.

(٧) هذا مثل عربي.

(٨) هذا مثل عربي.

لِعَالَمٍ أَمِيرٍ مِنْ جَاهِلِهِ^(١)، الْوَحْشَةُ ذَهَابُ الْأَعْلَامِ^(٢)، وَيَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا
 أَقْبَلَ، فَإِذَا أَذْبَرَ عَرَفَهُ الْأَحْمَقُ وَالْكَيْسُ، الْبَطْرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ حُمَقٌ،
 وَالْجَزَعُ عِنْدَ النَّازِلَةِ آفَةٌ التَّجَمُّلِ، وَلَا تَغْضَبُوا مِنَ السَّيْرِ، فَإِنَّهُ يَجْنِي
 الْكَثِيرَ، وَلَا تُجْبُوا فِيهِمَا لَا تُسْأَلُونَ عَنْهُ، وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا لَا يُضْحَكُ
 مِنْهُ، تَنَاءَوْا فِي الدِّيَارِ، لَا تَبَاغِضُوا، فَإِنَّ مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَقَعَّقُ عَمْدُهُ^(٣)،
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَبَلًا مُطْلَأًا تُزَايِلُهُ حِجَارَتُهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَمْلَسَ مَا فِيهِ صَدْعٌ.

الزُّمُومَا النِّسَاءَ الْمِهَانَةَ، وَلِنِعَمَ لَهُوَ الْحَرَّةُ الْمَغْزَلُ^(٤)، وَأَحْمَقُ الْحَمَقِ
 الْفُجُورُ، وَحِيلَةُ مَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ^(٥)، إِنْ كُنْتَ نَافِعِي فَوْرٍ عَنِّي
 عَيْنِكَ، إِنْ تَعِشْ تَرِ مَا لَمْ تَرِ^(٦)، فَقَدْ أَقْرَ صَامِتٌ، الْمَكْثَارُ كَحَاطِبِ
 لَيْلٍ^(٧)، وَمَنْ أَكْثَرَ أَسْقَطَ^(٨)، وَالسَّرُّ الظَّاهِرُ الرِّيَاشِ، لَا تَبُولُوا عَلَى
 أَكْمَةٍ، وَلَا تُفْشُوا سِرًّا إِلَى أَمَةٍ^(٩)، مَنْ لَمْ يَزُجْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَوْجِبٌ لَهُ
 كَانَ قَمِينًا أَنْ يُدْرِكَ حَاجَتَهُ، لَا تَمْنَعَنَّكُمْ مَسَاوِيءُ رَجُلٍ مِنْ ذِكْرِ مَحَاسِنِهِ.

☆ ☆ ☆

(١) هذا مثل عربي.

(٢) أي الوحشة في ذهاب العظماء.

(٣) هذا مثل عربي.

(٤) هذا مثل عربي.

(٥) هذا مثل عربي.

(٦) هذا مثل عربي.

(٧) هذا مثل عربي.

(٨) هذا مثل عربي.

(٩) هذا مثل عربي.

الفصل الثالث :

لقمان الحكيم يُوصي ابنه

قال لقمان الحكيم^(١) يوصي ابنه^(٢) :

يا بُنَيَّ، مَنْ يَصْحَبْ صَاحِبَ الشَّوْءِ لَا يَسْلَمْ، وَمَنْ يَدْخُلْ مُدْخَلَ
الشَّوْءِ يَتَّهَمْ، وَمَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ.

☆ ☆ ☆

وقال له^(٣) :

يا بُنَيَّ، ازْحَمْ الْعُلَمَاءَ بِرُكْبَتَيْكَ، وَلَا تُجَادِلْهُمْ فَيَمْقُتُوكَ، وَخُذْ مِنَ
الدُّنْيَا بِلَاغَكَ، وَابْقِ فُضُولَ كَسْبِكَ لِآخِرَتِكَ، وَلَا تَرْفُضِ الدُّنْيَا كُلَّ
الرَّفْضِ فَتَكُونَ عِيَالًا^(٤)، وَعَلَى أَعْنَاقِ الرِّجَالِ كَلًّا^(٥)، وَصُمْ صَوْمًا يَكْسِرُ
شَهْوَتَكَ، وَلَا تَصُمْ صَوْمًا يَضُرُّ بِصَلَاتِكَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ.

(١) هو حكيم معمر جاهلي، وفي القرآن الكريم سورة باسمه تعرض نماذج من حكمته التي تنصب خاصة على وصيته لابنه «أَلَا يُشْرِكْ بِاللَّهِ، وَأَنْ يَبِرَّ وَالِدَيْهِ، وَيَطِيعَهُمَا مَا لَمْ يَأْمُرْهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَأَنْ يَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَيَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ يَلْتَزِمَ الصَّبْرَ وَالتَّوَاضُعَ». وفي الأمثال والحكم عبارات شتى تُعزى إليه بحيث أصبح مورد كثير من الحكم العربية.

(٢) لباب الآداب ص ٢٧٢.

(٣) البيان والتبيين ١٥٣/٢.

(٤) العيال: الذي يعيله غيره من فضله.

(٥) الكل: من الرجال من يتكل على غيره ولا يعمل.

وَكُنْ كَالْأَبِ لِلْيَتِيمِ، وَكَالزَّوْجِ لِلْأَرْمَلَةِ، وَلَا تُحَابِ الْقَرِيبَ، وَلَا
تُجَالِسِ السَّفِيهَ، وَلَا تُخَالِطِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الْبَتَّةَ.

☆ ☆ ☆

وقال له (١):

لَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهَا، فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا، وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ خُلُقًا أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ،
وَلَا بَلَاءَهَا عُقُوبَةً لِلْعَاصِينَ.

يَا بُنَيَّ، لَا تُضَيِّعْ مَالَكَ، وَتُصْلِحْ مَالَ غَيْرِكَ، فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ،
وَمَالَ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ.

يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ مَنْ يَرْحَمْ يَرْحَمْ، وَمَنْ يَصُمْتُ يَسْلَمْ، وَمَنْ يَقُلْ الْخَيْرَ
يَغْنَمْ، وَمَنْ يَقُلْ الْبَاطِلَ يَأْتُمْ، وَمَنْ يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ.
يَا بُنَيَّ، زَاحِمِ الْعُلَمَاءَ بِرَكْبَتِكَ، وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأُذُنِكَ، فَإِنَّ الْقَلْبَ
يَخِيَا بِنُورِ الْعُلَمَاءِ كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ بِمَطَرِ السَّمَاءِ.

☆ ☆ ☆

وقال له (٢):

يَا بُنَيَّ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ مَا يُوْعَدُونَ، وَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ
سِرَاعًا يَذْهَبُونَ، وَإِنَّكَ قَدْ اسْتَدْبَرْتَ الدُّنْيَا مُنْذُ كُنْتَ، وَأَسْتَقْبَلْتَ
الْآخِرَةَ، وَإِنَّ دَارًا تَسِيرُ إِلَيْهَا أَقْرَبُ مِنْ دَارٍ تَخْرُجُ مِنْهَا.

يَا بُنَيَّ، لَيْسَ غِنَى كَصِحَّةٍ، وَلَا نَعِيمٌ كَطَيِّبِ نَفْسٍ، يَا بُنَيَّ، لَا
تُجَالِسِ الْفُجَّارَ. وَلَا تُمَاشِهِمْ، إِنَّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ
فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ، وَجَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمَهُمْ بِرَكْبَتِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(١) العقد الفريد ١/١٥٢ - ١٥٣.

(٢) شرح مقامات الحريري ٥/١٣٢.

يحيي القلوبَ الميّتةَ بالعلمِ، كما يُحيي الأرضَ بوابلِ المَطَرِ.

☆ ☆ ☆

وقال له^(١):

إياكَ وصاحبَ السُّوءِ، فإنَّه كالسَّيفِ المسلولِ، يُعْجِبُ مَنْظَرُهُ، وَيَقْبَحُ
أَثَرُهُ، ولا يَهونَنَّ عَلَيْكَ مَنْ قَبِحَ مَنْظَرُهُ، وَرَثَ لِبَاسُهُ، فإنَّ اللهَ تعالى إنما
ينظرُ إلى القلوبِ، ويُجازي بالأعمالِ.

☆ ☆ ☆

وقال لابنه أو لمولاه^(٢):

إنَّ طولَ الجُلوسِ على الخلاءِ يَرْفَعُ الحَرَارَةَ إلى الرأسِ، ويُورِثُ
الْبَاسورَ، ويتجمَعُ له الكِبْدُ، فأجلِسْ هَوَيْنِي، وَقُمْ هَوَيْنِي.

☆ ☆ ☆

وقال لابنه^(٣):

يا بُنَيَّ، إذا قَعَدْتَ إلى ذي سُلطانٍ، فليكن بينَكَ وبينَه مَقْعَدَ رَجُلٍ،
فَلَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مَنْ هُوَ آثَرُ عِنْدَهُ مِنْكَ، فَيُرِيدُ أَنْ تَنْحَى لَهُ عَنْ مَجْلِسِكَ،
فيكونَ ذلكَ نقصاً عليك وشيناً.

☆ ☆ ☆

(١) لباب الآداب ص ٢٠.

(٢) شرح مقامات الحريري ١٣٢/٥.

(٣) لباب الآداب ص ١٦.

الفصل الرابع :

قسّ بن ساعدة يُوصي ابنه

قال قسّ بن ساعدة^(١) يُوصي ابنه^(٢):

لا تُشاورْ مَشْغُولاً، وإنْ كانَ حَازِماً، ولا جَائِعاً وإنْ كانَ فَهِمًا، ولا
مَذْعُوراً وإنْ كانَ ناصِحاً، ولا مَهْمُوماً وإنْ كانَ عَاقِلاً، فَالْهَمَّ يَعْقِلُ
الْعَقْلُ، فلا يَتَوَلَّدُ مِنْهُ رَأْيٌ، ولا تَصْدُقُ بِهِ رَوِيَّةٌ.

☆ ☆ ☆

(١) هو قسّ بن ساعدة بن عمرو من بني إِياد (٠٠٠ - نحو ٢٣ ق.هـ / نحو ٦٠٠ م) أحد
حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهليّة. كان أسقف نجران. كان يَفِدُ على
قيصر الروم زائراً، فيكرمه ويعظمه (الزركلي: الأعلام ١٩٦/٥).
(٢) نهاية الأرب ٧٦/٦.

الفصل الخامس :

أوس بن حارثة يُوصي ابنه مالك

قال أوس بن حارثة^(١) يوصي ابنه مالكا^(٢) :

يا مالكُ، المنيّة ولا الدنيّة^(٣)، وألعتابُ قنلِ العقابِ، والتّجلّد قبل
التّبدل^(٤)، وأعلم أنّ القبرَ خيرٌ من الفقرِ، وشرُّ شاربِ المُشْتَفِ^(٥)،
وأقبحُ طاعِمِ المُقْتَفِ^(٦)، وذهابُ البصرِ خيرٌ من كثيرٍ من النّظرِ، ومن
كرَمِ الكريمِ الدّفاعُ عن الحريمِ، ومن قَلَّ ذلٌّ^(٧)، ومن أمرٍ فلٌّ^(٨)،
وخيرُ الغنى القناعة^(٩)، وشرُّ الفقرِ الضّراعة^(١٠)، والدّهْرُ يومانِ، فيومٌ

(١) هو أوس بن حارثة بن ثعلبة، من بني مزينة من الأزد من كهلان. جد قبيلة
الأوس (إحدى قبيلتي الأنصار: الأوس والخزرج). تحوّل بنوه من اليمن إلى
يثرب (المدينة)، وجاء الإسلام وهم فيها. وتفرّعت عنهم بطون متعدّدة.
(الزركلي: الأعلام ٢/ ٣١).

(٢) أمالي القاضي ١/ ١٠٢؛ وجمهرة خطب العرب ١/ ١٢٠.

(٣) هذا مثل عربيّ.

(٤) هذا مثل عربيّ.

(٥) هذا مثل عربيّ.

(٦) هذا مثل عربيّ.

(٧) هذا مثل عربيّ.

(٨) هذا مثل عربيّ.

(٩) هذا مثل عربيّ.

(١٠) هذا مثل عربيّ.

لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ^(١)، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرُ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَأَصْبِرْ،
فَكِلَاهُمَا سَيَنْحَسِرُ. فَإِنَّمَا تَعَرُّ مَنْ تَرَى، وَيَعِزُّكَ مَنْ لَا تَرَى^(٢)، وَلَوْ كَانَ
الْمَوْتُ يُشْتَرَى؛ لَسَلِمَ مِنْهُ أَهْلُ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّ النَّاسَ فِيهِ مُسْتَوُونَ،
الشَّرِيفُ الْأَبْلَجُ، وَاللَّئِيمُ الْمُعْلَهَجُ^(٣)، وَالْمَوْتُ الْمَفِيتُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ
لَكَ هَبِيتَ^(٤)، وَكَيْفَ بِالسَّلَامَةِ لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ إِقَامَةٌ، وَشَرٌّ مِنَ الْمُصِيبَةِ
سَوْءُ الْخَلْفِ^(٥)، وَكُلُّ مَجْمُوعٍ إِلَى تَلَفٍ، حَيَّاكَ اللَّهُ.

☆ ☆ ☆

(١) هذا مثل عربي.

(٢) هذا مثل عربي.

(٣) أي الدنيء اللئيم.

(٤) الهبيت: الأحمق الضعيف.

(٥) هذا مثل عربي.

الفصل السادس :

زرارة بن عدس يُوصي بنيه وبني بنيه

قال زرارة بن عدس^(١) يُوصي بنيه وبني بنيه^(٢) :

يا بَنِيَّ، إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بَيْتَ تَمِيمٍ، بَلْ بَيْتَ مُضَرَ، يَا بَنِيَّ، مَا هَجَمْتُ عَلَى قَوْمٍ قَطُّ مِنَ الْعَرَبِ لَا يَعْرِفُونَنِي إِلَّا أَحَلَّوْنِي، فَإِذَا نَسَبُونِي أَزْدَدْتُ عِنْدَهُمْ شَرَفًا، وَفِي أَعْيُنِهِمْ عِظَمًا، وَلَا وَقَدْتُ إِلَى مَلِكٍ إِلَّا آثَرَنِي وَشَفَّعَنِي، خُذُوا مِنْ أَدَبِي، وَأَثْبُتُوا عِنْدَ أَمْرِي، وَأَحْفَظُوا وَصِيَّتِي.

إِيَّاكُمْ أَنْ تُدْخِلُوا عَلَيَّ فِي قَبْرِي حَوْبَةً^(٣) أُسَبُّ بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا شَايَعَتْنِي نَفْسِي قَطُّ عَلَى إِيْتَانِ رِيْبَةٍ، وَلَا عَمَلٍ بِفَاحِشَةٍ، وَلَا ضَمَنِي وَعَاهِرَةً سَقَفُ بَيْتٍ قَطُّ، وَلَا حَسَنْتُ لِي نَفْسِي الْغَدَرَ مُنْذُ شَدَّتْ يَدَايَ مِثْرِي، وَلَا فَارَقَنِي جَارٌّ عَلَى قَلْبِي^(٤)، وَلَا حَمَلَنِي هَوَايَ عَلَى أَمْرٍ يَعِيبُنِي فِي مُضَرَ.

يَا بَنِيَّ، إِنَّ الْقَالََةَ إِلَيْكُمْ سَرِيعَةٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي اللَّيْلِ إِذَا أَظْلَمَ، وَفِي

(١) هو زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله، جدّ جاهليّ، بنوه بطن من بني دارم، من تميم، من عدنان. كان حكمًا من قضاة تميم، وقاد تميمًا وغيرها يوم شويحط (الزركلي: الأعلام ٤٣/٣).

(٢) المعمرون ص ١٢٠ - ١٢١.

(٣) الحوبة: الإثم والمنقصة.

(٤) القلى: البغض. والقالة: الكلام السيئ.

النَّهَارِ إِذَا أَنْتَشَرَ، يَكْفِكُمْ مَا أَهَمَّكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَشُرْبَ الْخَمْرِ، فَإِنَّهَا
مَفْسَدَةٌ لِلْعُقُولِ وَالْأَجْسَادِ، ذَهَابَةٌ بِالطَّرِيفِ وَالتَّلَادِ.

يَا بَنِيَّ، زَوِّجُوا النِّسَاءَ الْأَكْفَاءَ، وَإِلَّا فَأَنْتَظِرُوا بِهِنَّ الْقَضَاءَ.

يَا بَنِيَّ، قَدْ أَدْرَكْتُ سُفْيَانَ بْنَ مَجَاشِعَ بْنِ دَارِمٍ شَيْخًا كَبِيرًا مَخْجُوبًا،
فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ حَانَ خُرُوجُ نَبِيِّ بِمَكَّةَ مِنْ مُضَرَ يَقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ - عَلَيْهِ
السلام - يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، فَإِنْ أَدْرَكْتُمُوهُ فَأَتَّبِعُوهُ، تَزْدَادُوا بِذَلِكَ
شَرَفًا إِلَى شَرَفِكُمْ وَعِزًّا إِلَى عِزِّكُمْ.

إِنَّهُ لَيْسَ فِيكُمْ سَقَطُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَلَا تَمَنِّيْتُكُمْ أَنِّي بُدِّلْتُكُمْ مِنَ
الْعَرَبِ، وَلَوْ لَا عَجَلَةُ لَقِيَطٍ^(١) إِلَى الْحَرْبِ، وَالْحَرْبُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا
الرَّجُلُ الْمَكِيثُ لَشَرَفَتْهُ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ بَعْدُ فَارِسُ مُضَرَ، وَعَلَيْكُمْ بِحَاجِبٍ
فَإِنَّهُ حَلِيمٌ عِنْدَ الْغَضَبِ، فَرَّاجٌ لِلْكَرْبِ، يَجُودُ إِذَا طُلِبَ إِلَيْهِ، ذُو رَأْيٍ لَا
يُنْكَشُ^(٢)، وَزَمَاعٌ لَا يَفْحَشُ^(٣)، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ. جَنِّبْكُمْ اللَّهُ
الرَّدَى.

☆ ☆ ☆

(١) لقيط وحاجب هما ابنا الموصي.

(٢) لا ينكش: لا يستقصي ما فيه، يقال: نكشت البئر إذا أخرجت ما فيها. قاله أبو
حاتم السجستاني.

(٣) الزماع: العزم. ولا يفحش: لا ينتقص.

الفصل السابع :

الإمام عليّ بن أبي طالب يوصي ابنه الحسن

قال الإمام عليّ بن أبي طالب^(١)، رضي الله عنه، يوصي ابنه الحسن^(٢):

يا بُنَيَّ، أوصيكَ بتقوى الله في الغيب والشَّهادة، وكلمة الحق في الرِّضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في النشاط والكسل، والرضا عن الله عزَّ وجلَّ في الشَّدة والرخاء.

يا بُنَيَّ، ما شرُّ بعدهُ الْجَنَّةُ بِشَرِّ، ولا خيرٌ بعدهُ النَّارُ بِخَيْرٍ، وكلُّ نعيمٍ دونَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ، وكلُّ بلاءٍ دونَ النَّارِ عَافِيَةٌ.

اعلم يا بُنَيَّ أَنَّهُ مَنْ عَيَّبَ نَفْسَهُ شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِقَسَمِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بئراً وَقَعَ فِيهَا، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ أَخِيهِ أَنْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْنِهِ، وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ اسْتَعْظَمَ خَطِيئَةَ غَيْرِهِ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عُطِبَ،

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول من كتابنا هذا.

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب (٣هـ/٦٢٤م - ٥٠هـ/٦٧٠م) خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، أمّه فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ). بايعه أهل العراق، وأشاروا إليه بالزحف على معاوية، لكنه آثر الصلح معه حقناً لدماء المسلمين. توفي في المدينة (الزركلي: الأعلام ١٩٩/٢ - ٢٠٠).

وَمَنْ أَقْتَحَمَ الْبَحْرَ غَرِقَ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَمَنْ أَسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ
زَلَّ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ، وَمَنْ سَفِهَ عَلَيْهِمْ شُتِمَ، وَمَنْ سَلَكَ
مَسَالِكَ الشَّرِّ أَثُهِمَ، وَمَنْ خَالَطَ الْأَنْدَالَ حُقِرَ، وَمَنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وُقِرَ،
وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ
خَطَاؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَاؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ
وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ.

يَا بُنَيَّ، مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ وَرَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ
بَعَيْنُهُ، وَمَنْ تَقَطَّنَ أُعْتَبِرَ، وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَعْتَزَلَ، وَمَنْ أَعْتَزَلَ سَلِمَ، وَمَنْ
تَرَكَ الْحَسَدَ كَانَ لَهُ الْمَحَبَّةُ مِنَ النَّاسِ.

يَا بُنَيَّ، عِزُّ الْمُؤْمِنِ غِنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ، وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ، وَمَنْ
أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيُسْرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ
عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُهُ، وَالْعَجَبُ مِمَّنْ خَافَ الْعِقَابَ فَلَمْ يَكْفَ،
وَرَجَا الثَّوَابَ فَلَمْ يَعْمَلْ، وَالذِّكْرُ نُورٌ، وَالْغَفْلَةُ ظُلْمَةٌ، وَالْجَهَالَةُ ضَلَالَةٌ،
وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ
قَرِينٍ.

يَا بُنَيَّ، لَيْسَ مَعَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ نَمَاءٌ، وَلَا مَعَ الْفُجُورِ غِنَاءٌ.
يَا بُنَيَّ، الْعَافِيَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَوَاحِدٌ فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ، وَمَنْ تَزَيَّنَ بِمَعَاصِي اللَّهِ فِي
الْمَجَالِسِ أَوْرَثَهُ اللَّهُ ذُلًّا، مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ عَلِمَ.

يَا بُنَيَّ، رَأْسُ الْعِلْمِ الرَّفْقُ، وَآفَتُهُ الْخُرْقُ، وَمَنْ كُنُوزَ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ
عَلَى الْمَصَائِبِ، الْعِفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى.

يَا بُنَيَّ، كَثْرَةُ الزِّيَارَةِ تَوْرَثُ الْمَلَالَةَ، الطُّمَأْنِينَةُ قَبْلَ الْخَبَرَةِ ضِدُّ
الْحَزَمِ، إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ عَقْلِهِ.

يَا بُنَيَّ، كَمْ مِنْ نَظْرَةٍ جَلَبَتْ حَسْرَةً، وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً، لَا

شَرَفَ أَعْلَى مِنْ شَرَفِ الْإِسْلَامِ، وَلَا كَرَمَ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، وَلَا مَعْقِلَ أَعَزُّ مِنَ الْوَرَعِ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَا لِبَاسَ أَجْمَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ، وَلَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى، وَمَنْ أَقْتَصَدَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ تَعَجَّلَ الرَّاحَةَ، وَتَبَوَّأَ أَحْسَنَ الدَّعَةِ، وَالْحَسَنُ مِفْتَاحُ التَّعَبِ وَمَطِيَّةُ النَّصَبِ، وَدَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، وَالشَّرُّ دَاعٍ إِلَى مَسَاوِيءِ الْعُيُوبِ، وَكَفَّكَ أَدْبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهَتْهُ لِغَيْرِكَ، لِأَخِيكَ الْمُؤْمِنِ عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَعَرَّضَ فِي أُمُورٍ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِفَادِحَاتِ النَّوَائِبِ، التَّدْبِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤْمِنُكَ النَّدَمَ، مَنْ أَسْتَقْبَلَ وَجْهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ، الصَّبْرُ جُنَّةٌ مِنَ الْفَاقَةِ، الْبَخْلُ جُلْبَابُ الْمَسْكِنَةِ، الْحِرْصُ عَلَامَةُ الْفَقْرِ، وَصُورُ مُعَدَمٍ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ مُكْثِرٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ قُوَّةٌ، وَأَبْنُ آدَمَ قُوَّةُ الْمَوْتِ.

يَا بُنَيَّ، لَا تُؤَيِّسْ مُذْنِبًا، فَكَمْ مِنْ عَاكِفٍ عَلَى ذَنْبِهِ خَتِمَ لَهُ بِالْخَيْرِ، وَكَمْ مِنْ مُقْبِلٍ عَلَى عَمَلِهِ مُفْسِدٌ لَهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَمَنْ تَحَرَّى الْقَصْدَ خَفَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ، فِي خِلَافِ النَّفْسِ رُشْدُهَا، السَّاعَاتُ تُنْقِصُ الْأَعْمَارَ، رَبُّكَ لِلْبَاغِينَ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَعَالِمٌ بِضِمَائِرِ الْمَضْمُرِينَ، بَسَّسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ، الْعَدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ، فِي كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ^(١)، وَمَعَ كُلِّ لُقْمَةٍ غَصَصٌ، لَا تُنَالُ نِعْمَةٌ إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، مَا أَقْرَبَ الرَّاحَةَ مِنَ التَّعَبِ، وَالْبُؤْسَ مِنَ النَّعِيمِ، وَالْمَوْتَ مِنَ الْحَيَاةِ، فَطُوبَى^(٢) لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ، وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ، وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ، وَبَخَ لِعَالِمٍ عِلْمَ فَكْفٍ، وَعَمِلَ فَجْدًا، وَخَافَ الْبَيَانَ فَأَعَدَّ وَأَسْتَعَدَّ، إِنْ سُئِلَ أَفْصَحَ، وَإِنْ تُرِكَ صَمَتَ، كَلَامُهُ ضَوَابٌ، وَسَكَوَتُهُ غَيْرُ عَيٍّ عَنِ الْجَوَابِ، وَالْوَيْلُ كُلُّ

(١) الشرق: الغصة من الماء وغيره .

(٢) طوبى: هنيئاً.

الْوَيْلُ لِمَنْ بُلِيَ بِحِرْمَانٍ، وَخُذْلَانٍ وَعِصْيَانٍ، وَأَسْتَحْسَنَ لِنَفْسِهِ مَا يَكْرَهُهُ
النَّاسُ لَهُ، وَيُزِرِي عَلَى النَّاسِ بِمِثْلِ مَا يَأْتِي، مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ
مَحَبَّتُهُ، مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سُخَاءٌ وَلَا حَيَاءٌ؛ فَالْمَوْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنَ الْحَيَاةِ، لَا
تَتِمُّ مَرُوءَةُ الرَّجُلِ حَتَّى لَا يُبَالِيَ أَيَّ ثَوْبِيهِ لَبَسَ، وَلَا أَيَّ طَعَامِهِ أَكَلَ^(١).

☆ ☆ ☆

(١) أسرار البلاغة للعاملي ص ٣٤٢ على هامش كتاب المخلاة للمؤلف نفسه.

الفصل الثامن:

الأشعث بن قيس الكندي يُوصي بنيه

قال الأشعث بن قيس الكندي^(١) يُوصي بنيه^(٢):

يا بني، لا تَذَلُّوا في أعراضِكُمْ وأنْخَدِعُوا في أموالِكُمْ، ولتَخِفَّ
بُطُونُكُمْ من أموالِ الناسِ، وظهورُكُمْ من دُمائِهِمْ، فَإِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ تَبِعَةً،
وإِيَّاكُمْ وما يَعْتَدُّ مِنْهُ أَوْ يُسْتَحْي، فَإِنَّمَا يُعْتَدُّ مِنْ ذَنْبٍ، وَيُسْتَحْي مِنْ
عَيْبٍ، وَأَصْلَحُوا الْمَالَ لِجَفْوَةِ السُّلْطَانِ، وَتَغْيِيرِ الزَّمَانِ، وَكُفُّوا عَنِ
الْحَاجَةِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّهُ كَفَى بِالرَّدِّ مَنَعًا، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ حَتَّى
يُوَافِقَ الرِّزْقُ قَدْرًا.

وَأَمْنَعُوا النِّسَاءَ مِنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتٍ يَتَأَسَّى بِكُمْ الْكَرِيمُ،
وَيَتَشَرَّفُ بِكُمْ اللَّئِيمُ، وَكُونُوا فِي عَوَامِ النَّاسِ مَا لَمْ يَضْطَرِّبِ الْحَبْلُ،
فَإِذَا أَضْطَرَبَ الْحَبْلُ فَالْحَقُوا بِعَشَائِرِكُمْ.



(١) هو الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي (٢٣ق.هـ/ ٦٠٠م - ٤٠هـ/ ٦٦١م) أمير
كندة في الجاهلية والإسلام، وفد على النبي وأسلم، وشهد اليرموك، والكثير من
المواقع. وكان مع علي في صفين، وأخباره كثيرة في الفتوح الإسلامية (الزركلي:
الأعلام ١/ ٣٣٢).

(٢) العقد الفريد ٣/ ١٥٤.

الفصل التاسع :

جعفر بن محمد الصادق يوصي ابنه موسى

قال جعفر بن موسى الصادق^(١) يوصي ابنه موسى^(٢)، قائلاً^(٣) :
يا بُنَيَّ، مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ اسْتَغْنَى، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلَى مَا فِي يَدِ
غَيْرِهِ مَاتَ فَقِيرًا، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ أَتَاهُمُ اللَّهُ فِي قَضَائِهِ،
وَمَنْ اسْتَصَغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَغْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ، وَمَنْ اسْتَصَغَرَ زَلَّةَ غَيْرِهِ
اسْتَغْظَمَ زَلَّةَ نَفْسِهِ.
يا بُنَيَّ، مَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ، وَمَنْ سَلَّ
سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ احْتَقَرَ لِأَخِيهِ بَرًّا سَقَطَ فِيهَا، وَمَنْ دَاخَلَ
السُّفَهَاءَ حُقِرَ، وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وُقِرَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ الشُّوْءِ أَتَاهُمْ.
يا بُنَيَّ، إِيَّاكَ أَنْ تَزْرِيَ بِالرِّجَالِ فَيَزْرِيَ بِكَ، وَإِيَّاكَ وَالذُّخُولَ فِيمَا لَا

(١) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط (٨٠هـ/٦٩٩م - ١٤٨هـ/٧٦٥م) كانت له منزلة رفيعة في العلم. أخذت عنه جماعة منها الإمامان أبو حنيفة ومالك. لقّب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب مطلقاً. له أخبار مع الخلفاء العباسيين، وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق (الزركلي: الأعلام ١٢٦/٢).

(٢) هو موسى بن محمد الصادق (١٢٨هـ/٧٤٥م - ١٨٣هـ/٧٩٩م) كان من سادات بني هاشم. ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد. (الزركلي: الأعلام ٣٢١/٧).

(٣) حلية الأولياء ٣/١٩٥ - ١٩٦.

يَعْنِيكَ فَتَذَلَّ لِذَلِكَ .

يَا بُنَيَّ، كُنْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَالِيًا، وللإسلام فاشيًا، وبالمعروفِ آمِرًا،
وعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا، وَلِمَنْ قَطَعَكَ وَاصِلًا، وَلِمَنْ سَكَتَ عَنْكَ مُبْتَدِئًا،
وَلِمَنْ سَأَلَكَ مُعْطِيًا، وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشَّحْنَاءَ فِي قُلُوبِ
الرِّجَالِ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِعُيُوبِ النَّاسِ، فَمَنْزِلَةُ التَّعَرُّضِ لِعُيُوبِ النَّاسِ
بِمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ .

يَا بُنَيَّ، إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ فَعَلَيْكَ بِمَعَادِنِهِ، فَإِنَّ لِلْجُودِ مَعَادِينَ،
وَلِلْمَعَادِينَ أَصُولًا وَلِلْأَصُولِ فُرُوعًا، وَلِلْفُرُوعِ ثَمَرًا، وَلَا أَصْلَ ثَابِتٌ إِلَّا
بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ .

يَا بُنَيَّ، إِذَا زُرْتَ فَزُرِ الْأَخْيَارَ، وَلَا تَزُرِ الْفُجَّارَ، فَإِنَّهُمْ صَخْرَةٌ لَا
يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا، وَشَجَرَةٌ لَا يَخْضَرُ وَرَقُهَا، وَأَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عُشْبُهَا .

☆ ☆ ☆

الفصل العاشر:

العتبيّ يوصي ابنه عبد الرحمن

قال العتبيّ^(١) يوصي ابنه عبد الرحمن^(٢):

يا بُنَيَّ، إني أَثْرُكُكَ مَعَ مَنْ لَا يَثْرُكُكَ، فَاجْعَلْ عُيُونَهُمْ بِحُسْنٍ مِنْكَ
تَقْطَعُ أَلْسِنَتَهُمْ عَنْكَ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ تَكُنْ لَكَ، وَخُذْ مِنْ كُلِّ زَمَانٍ مُحَاسِنَ
مَا فِيهِ، وَأَنْتَ قَلِيلٌ فَاتَّقِ اللَّهَ تَكُنْ بِهِ كَثِيرًا، وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ تَخْرُجُ بِمَوْتِي
عَنْ سَعَةِ عُذْرٍ إِلَى ضَيْقٍ مُدَارَاةٍ، فَضَعْ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا تَضَعَكَ
مَوَاضِعَكَ، وَاجْعَلْ دُنْيَاكَ صِلَةً لآخِرَتِكَ، وَلَا تَرْضَ لَهَا بِهَا عِوَضًا مِنْ
الْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَها عِقَابًا لِمَنْ سَخِطَ عَلَيْهِ، وَلَا ثَوَابًا لِمَنْ رَضِيَ
عَنهُ، وَأَنْظِرْ بَنَاتِي، فَوَصَّيْتِي فِيهِنَّ بِمَا أَوْصَى سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فِي بَنَاتِهِ.

☆ ☆ ☆

(١) هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، أبو عبد الرحمن (١٠٠ - ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م) أديب،
كثير الأخبار، حسن الشعر، ولد وتوفي بالبصرة. له تصانيف، منها «الأخلاق»،
و«أشعار الأعراب» (الزركلي: الأعلام ٦/ ٢٥٨ - ٢٥٩).

(٢) عن جمهرة وصايا العرب ٣/ ١٩١.

الفصل الحادي عشر:

عبد الرحمن الأوسط بن الحكم يوصي ولده المنذر بن عبد الرحمن

قال عبد الرحمن الأوسط^(١) يوصي ولده المنذر بن عبد الرحمن^(٢):
إِنَّ فِيكَ لَتِيهَا مُفَرِّطاً، فَقَالَ لَهُ: حَقٌّ لَفَرَعِ أَنْتَ أَصْلُهُ أَنْ يَغْلُو، فَقَالَ
لَهُ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْعُيُونَ تَمُجُّ التِّيَّاهَ، وَالْقُلُوبُ تَنْفِرُ عَنْهُ. فَقَالَ: يَا أَبِي،
لِي مِنَ الْعِزِّ وَالنَّسَبِ وَعُلُوِّ الْمَكَانِ مَا يَجْمَلُ عَنْ ذَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَرِ
الْعُيُونَ إِلَّا مُقْبِلَةً عَلَيَّ، وَلَا الْأَسْمَاعَ إِلَّا مُصْغِيَةً إِلَيَّ، وَأَنَّ لِهَذَا السُّلْطَانِ
رَوْنَقاً يَرِيقُهُ التَّبَدُّلُ، وَعُلُوّاً يَخْفُضُهُ الْإِنْسِاطُ، وَلَا يَصُونُهُ وَيُشَرِّفُهُ إِلَّا
التَّيَّةُ، وَالْإِنْقِبَاضُ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْدَالَ لَهُمْ مِيزَانٌ يَسِيرُونَ بِهِ الرَّجُلَ مِثْلاً،
فَإِنْ رَأَوْهُ رَاجِحاً عَرَفُوا لَهُ قَدَرَ رَجَاحَتِهِ، وَإِنْ رَأَوْهُ نَاقِصاً عَامَلُوهُ بِنَقْصِهِ،
وَصَيَّرُوا تَوَاضُعَهُ صِغَرًا، وَتَخَفُّضَهُ خِسَةً. فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: اللَّهُ أَنْتَ، فَأَبَقَ
وَمَا رَأَيْتَ.

(١) هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي (١٧٦هـ/٧٩٢م - ٢٣٨هـ/٨٥٢م) رابع ملوك بني أمية في الأندلس، شهدت على أيامه مملكته نهضة عمرانية كبيرة. كان أدبياً ينظم الشعر، ومطلعاً على علوم الشريعة وبعض فنون الفلسفة (الزركلي: الأعلام ٣/٣٠٥).

(٢) نفح الطيب ٢/٣٢٩.

وقال له أيضاً يوصيه^(١):

كان المنذر بن الأمير عبد الرحمن الأوسط سييء الخلق في أول أمره، كثير الإصغاء إلى أقوال الوشاة، مفرط القلق مما يقال في جانبه، معاقباً على ذلك من يقدر على معاقبته، مكثر التشكي ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبدالرحمن، فطال ذلك على الأمير، فقال لوكيل خاص به، عارف بالقيام بما يكلفه به: الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبني فيه الآن بناءً أسكن فيه ابني المنذر، وأوصاه بالاجتهاد فيه، ففرغ منه، وعاد إليه، فقال له: تُعلم المنذر أنني أمرته بالانفراد فيه، ولا تترك أحداً من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره، ولا يتكلم معه ألبتة، فإذا ضجر من ذلك، وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك، فتولى الثقة ذلك على ما أمر به، ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي وحده، وفقد خوله، ومن كان يستريح معه، ونظر إلى ما سلبه من الملك ضجر، فقال للثقة: عسى أن يصلني غلmani وأصحابي أتأس بهم، فقال له الثقة: إن الأمير أمر أن لا يصلك أحد، وأن تبقى وحدك لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية، فعلم أن الأمير قصد محنته بذلك وتأديبه، فاستدعى دواة وكتب إلى أبيه: إنني قد توخشت في هذا الموضع توخشاً ما عليه من مزيد، وعُدمت فيه من كنت آنس إليه، وأصبحتُ مسلوبة العز فقيد الأمر والنهي، فإن كان ذلك عقاباً لذنوب كبير ارتكبتها وعلمه مولاي ولم أعلمه، فإني صابر على تأديبه، ضارع إليه في عفوهِ وصفحهِ:

وإن أمير المؤمنين وفعلهُ لكالدَّهر، لا عارٌ بما فعل الدَّهرُ

(١) نفع الطيب ١١٤/٥ - ١١٥.

فلما وقف الأمير على رقعته، وعلم أن الأدب بلغ به حقه، استدعاه فقال له: وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الوضع، وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك وأصحابك، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان، وما فعلت ذلك عقاباً لك، وإنما رأيناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقليل، فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك ويُنم، حتى تستريح منهم. فقال له: سماع ما كنت أضجر منه أخف عليّ من التوحيد والتوحش والتخلي مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهي، فقال له:

فإذ قد عرفت وتأدّبت، فارجع إلي ما اعتدته، وعوّل على أن تسمع كأنك لم تسمع، وترى كأنك لم تر، وقد قال النبي ﷺ: «لو تكاشفتهم ما تدافستهم». واعلم أنك أقرب الناس إليّ فيّ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكار عليّ، وسخط لما أفعله في جانبك أو جانب غيرك، مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني، لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين القلوب ستر بعضها عن بعض فيما يحول فيها، وإنك لذو همّة ومطمح، ومن يكن هكذا يضرب ويغض ويخمل، ويبدل العقاب بالثواب، ويصير الأعداء من قبيل الأصحاب، ويضرب من الشخص على ما يسوء، فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر، ولقد يخف عليّ اليوم من قاسيت من فعله وقوله ما لو قطعتهم عضواً عضواً لما ارتكبوه مني ما شفيت منهم غيظي، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال، ولا سيما عند الاقتدار أولى، ونظرت إلى جميع من حولي ممن يحسن ويُسِيء، فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض، ونظرت إلى المسيء يعودُ مُحسناً، والمُحسِن يعودُ مُسيئاً، وصرتُ أندم على من سبق له مني عقاب، ولا أندم على من سبق له مني ثواب.

فَالْزَمْ يَا بُنَيَّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَإِنَّ جَمَاعَهَا فِي التَّغَاضِي، وَمَنْ لَا
يَتَغَاضَى لَا يَسْلَمُ لَهُ صَاحِبٌ، وَلَا يُقْرَبُ مِنْهُ جَانِبٌ، وَلَا يَنَالُ مَا تَتَرَقَّى
إِلَيْهِ هِمَّتُهُ، وَلَا يَظْفَرُ بِأَمَلِهِ، وَلَا يَجِدُ مُعِينًا حِينَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

☆ ☆ ☆

الفصل الثاني عشر:

أحمد أمين^(١) يُوصي ابنه^(٢)

أي بُني!

لا تظنَّ أنَّكَ تَسْتَطِيعُ أن تكونَ مُهَنْدِساً عَظِيماً، بِقِرَاءَتِكَ فِي الهِنْدِسَةِ وحَدَّهَا، ولا أن يكونَ زَمِيلُكَ طَبِيباً عَظِيماً بِقِرَاءَتِهِ فِي الطَّبِّ وحَدَّهُ... .
فَالْعَقْلُ وحَدَّهُ، وثِقَافَتُهُ فِي أيِّ مَوْضُوعٍ آخَرَ تُفِيدُهُ فِي المَوْضُوعِ الَّذِي تَخْصُصَ فِيهِ. فكم أَتَتْ فِكْرَةُ هِنْدِسِيَّةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابٍ فِي الأَدَبِ، أو فِي الاجْتِمَاعِ! وكم أَتَتْ فِكْرَةُ طَبَّيَّةٍ سَامِيَةٍ مِنْ ثِقَافَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ أو فِلْسَافِيَّةٍ!
وَيُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّ كَثِيراً مِنَ الأَطْبَاءِ يَنْقُصُهُمُ المَنْطِقُ مِثْلاً، فَلَوْ تَعَلَّمُوا شَيْئاً مِنَ المَنْطِقِ، لَاسْتَطَاعُوا أن يُحَدِّدُوا بِالضَّبْطِ نَوْعَ المَرَضِ ونَوْعَ العِلاجِ، وخواصَّةً فِي الأمراضِ الَّتِي تَتَشَابَهُ أعراضُهَا، وتَتَقَارَبُ أوصافُهَا. فَالْمَنْطِقُ وحَدَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أن يَقُولَ- بِنَاءً عَلَى هَذِهِ

(١) أديب مصري مشهور، وأحد قادة الفكر العربي في العصر الحديث. وُلد في القاهرة سنة ١٨٧٨م وتوفي في العام ١٩٥٤م. كان عميداً لكلية الآداب في جامعة القاهرة، وعضواً في المجمع اللغوي المصري. يُعدُّ من أكبر الداعين إلى التجدد في اللغة والأدب. من مؤلفاته «إلى ولدي»، و«الأخلاق»، و«حياتي». و«فجر الإسلام»، و«ضحى الإسلام». و«ظهر الإسلام»، و«فيض الخاطر».

(٢) عن كتابه «إلى ولدي».

الأعراضِ المُتشابهة - إنَّ هذا المرضَ كذا دونَ كذا. والطبيبُ الناجحُ هو الذي مُنَحَ مَلَكَهَ مَنْطِقِيَّةً بِالْفِطْرَةِ، ولو نُمِّتَ هذه المَلَكََةُ الفِطْرِيَّةُ بِشَيْءٍ مِنَ الفَلَسَفَةِ، والمنطِقِ التَّعْلِيمِيِّ، لكان صاحبُها أُنْبَغَ وأَعْظَمَ.

أي بُنَيَّ!

مِفْتَاحُ هذه المُشْكَلَةِ أَنْ تَجْتَهِدَ أَوَّلَ أَمْرِكَ، أَنْ يَكُونَ لَكَ هِوَايَةٌ فِي فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ الثَّقَافَةِ العامَّةِ، كَنَوْعٍ مِنْ دِرَاسَةِ التَّارِيخِ، أَوْ نَوْعٍ مِنَ الأدَبِ، أَوْ نَوْعٍ مِنَ الدِّرَاسَةِ النَّفْسِيَّةِ، أَوْ الإِجْتِمَاعِيَّةِ، بِجَانِبِ دِرَاسَتِكَ الخاصَّةِ. تَبْدَأُ فِيهِ عَلَى مَهَلٍ، وَتُحِبُّ نَفْسَكَ فِيهِ رُويْدًا رُويْدًا، كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُمَرِّنَ نَفْسَهُ عَلَى هِوَايَةِ جَمْعِ الزُّهُورِ، أَوْ جَمْعِ أَوْراقِ البَرِيدِ، أَوْ الرِّسْمِ، أَوْ أَيِّ فَنٍّ مِنَ الفُنُونِ الجميلة... فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى هذا قَلِيلًا قَلِيلًا، وَجَدْتَ أَنَّ لَذَّتَكَ تَنمو شَيْئًا فشيئًا، وَمَا تَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى تُصَبِّحَ هذه الهِوَايَةُ «كَيْفًا» لَا تُصْبِرُ عَنْهُ، وَلَا تَسْتَطِيعُ العَيْشَ بِدُونِهِ، وَلَكِنَّهُ «كَيْفًا» رَاقٍ، سَامٍ، نَبِيلٌ نَافِعٌ. فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى هذه الدَّرَجَةِ، اسْتَسَخَفْتَ مَنْ يُضَيِّعُونَ أَوْقَاتَ فَرَاحِهِمْ فِي الحَدِيثِ التَّافِهِ، وَاللَّعِبِ السَّخِيفِ، والقِرَاءَةِ الرَّخِيصَةِ، وَأَخْبَيْتَ أَنْ تُصَادِقَ مَنْ قَوِيَتْ ثِقافتُهُ، وَنَضِجَ تَفْكِيرُهُ.

أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَسْمَعَ مِنْ زُمَلَائِكَ، أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَ الوَقْتِ بَلْعِبِ الورقِ، أَوْ بالحَدِيثِ التَّافِهِ، أَوْ بالكَلَامِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، أَوْ نَحْوِ ذلك؟ كَأَنَّ الوَقْتَ عَدُوٌّ يُقَاتَلُ، مَعَ أَنَّهُ المَادَّةُ الخَامَةُ للحَيَاةِ، وَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ يُصَادَقَ، لَا أَنْ يُقَاتَلَ، وَلَكِنْ كَمْ يَجْنِي الإنسانُ عَلَى نَفْسِهِ بِمَعَادَاةِ أَحَقِّ شَيْءٍ بِالصَّدَاقَةِ!

أي بُنَيَّ!

تَصَوَّرْ أَنَّكَ سَتَعِيشُ بَعْدَ ذلك أَرْبَعِينَ عَامًا أَوْ خَمْسِينَ، وَتَصَوَّرْ مَاذَا

تَجْنِي فِي هَذِهِ السَّنِينَ الطُّوَالَ، إِذَا أَنْتَ صَرَفْتَ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْهَا فِي
تَقْوِيمِ نَفْسِكَ، وَتَثْقِيفِ عَقْلِكَ، وَتَهْذِيبِ ذَوْقِكَ، وَتَصَوُّرِ كَيْفِ تَخْسَرُ،
إِذَا أَنْتَ صَرَفْتَهَا، أَوْ أَكْثَرَهَا، فِي مَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. بَلْ أَنْتَ إِذَا حَسَبْتَ
ذَلِكَ بِحِسَابِ اللَّذَّةِ الشَّخْصِيَّةِ فَحَسَبَ، وَجَدْتُكَ تَتَلَذَّذُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً
مِنْ لَذَائِكَ الْعَقْلِيَّةِ، أَكْثَرَ مِنْ لَذَائِكَ الْجَسَدِيَّةِ.

☆ ☆ ☆

الفصل الثالث عشر:

فاخر عاقل يُوصي ولده

قال فاخر عاقل^(١) يوصي ولده:

وَلَدِي . . .

لَوْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَهَمِّ صِفَاتٍ، مِنْ صِفَاتِ هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ، لَقُلْتُ لَكَ غَيْرَ مُتَرَدِّدٍ: «إِنَّهُ عَصْرُ الْعَمَلِ». وَلَوْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَهَمِّ مُكْتَشَفَاتِ هَذَا الْقَرْنِ، الَّذِي شَهِدَ مَوْلِدَكَ، وَأَرْجُو أَلَّا يَشْهَدَ مَوْتَكَ، لَقُلْتُ لَكَ: «إِنَّهَا قِيَمَةُ الْعَمَلِ: قِيَمَتُهُ فِي بِنَاءِ حَيَاةِ الْفَرْدِ، وَقِيَمَتُهُ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَقِيَمَتُهُ فِي بِنَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ».

وَلَعَلَّكَ مُلَاحِظٌ أَنَّنَا فِي زَمَانٍ، لَمْ تَبْقَ لِلْوِرَاثَةِ فِيهِ قِيَمَةٌ، وَأُعْنِي بِالْوِرَاثَةِ: وِرَاثَةُ الْأَمْلاكِ، أَوْ وِرَاثَةُ الثَّرْوَةِ، أَوْ وِرَاثَةُ الْمَصْنَعِ، أَوْ وِرَاثَةُ اللَّقَبِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَشْكَالِ الْوِرَاثَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ. إِنَّ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ فِي عَصْرِنَا هَذَا، فِي مَا يُحْسِنُ عَمَلَهُ. وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَمَلَ هُوَ الطَّرِيقُ الْأَوْحَدُ لِتَنْمِيَةِ الْإِنْسَانِ. وَصَقْلِ الطَّبْعِ، وَإِبْرَازِ الْمَوَاهِبِ الْفَرْدِيَّةِ. وَتَمْتِيعِ الْمَرْءِ بِالسَّعَادَةِ وَالرِّضَا.

فَأَوَّلِ، يَا بُنَيَّ، عَمَلَكَ الْمُقْبِلَ جُلًّا تَفْكِيرِكَ، فَكِّرْ فِي مَا تُحِبُّ أَنْ

(١) هو باحث سوري حديث، اهتم بالتربية والأدب وعلم النفس. له مؤلفات عديدة في التربية وعلم النفس، منها «علم النفس التربوي».

تكون في هذا المجتمع، وحاول أن ترى طريقك إلى الحرفة التي تحب أن تحترف، وليكن اختيارك لعملك على أساس من قدراتك وميولك، وقيمة هذا العمل لمجتمعك، وهذا يحقق لك السعادة.

ولكن حذار أن تظن أن السعادة تطرق باب الكسلان، أو تأتي بطريق الأعمال السهلة، أو تنبع من الأعمال التي تسير على منوال واحد دون تغيير. فإن أردت سعادة حقيقية، وجب عليك أن تجتهد في القيام بعمل محبب، وعلى وجه صحيح. وبذلك فقط تكون فنانا، وتكون قبل هذا وبعده مواطنا صالحا، وإنسانا مهذبًا.

وهذا يوصلني، يا بُني، إلى التحدث معك عن الإيمان، ذلك أن الإيمان هو جوهر الخلق، ودافع العمل، ومقيار النجاح، فالذي لا يؤمن لا يعمل، والذي لا يؤمن لا ينجح، والذي لا يؤمن لا يصاب. أي بُني، آمن بالمثل الأعلى دون التعصب، وآمن بوطنك دون احتقار لأوطان الآخرين، وآمن بالإنسانية محبة وتاخيا وتعاونًا.

ولدي! الإيمان بهذا المعنى يدعوني إلى الحديث عن الأخلاق، وسألخصها لك في هذه العبارات القصيرة: «لا تفعل في السر ما تستحي منه في العلن، وعلىك بمحاسبة نفسك».

أي بُني، عليك التسلح بالعلم، ولا تنس أن العلم الصحيح موقف قبل أن يكون معرفة، فأنا أريد أن تتخذ من مشكلاتك اليومية وقضاياك الكبرى، موقفًا علميًا يتسم بحب الحقيقة أولاً، وبالتواضع ثانياً، وبالإذعان للحق ثالثاً. أريدك أن تتخذ من هذا الكون وما فيه، موقف المختبر المتعلم، الباحث عن الحقيقة، العامل على نشرها.

أي بُني، متعك الله بالسعادة، وجنبك مزالق الحياة، وعصمك من الزلل، وجعلك عضواً نافعا لمجتمعك، لائقاً بإنسانيتك.

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع عشر:

أدفيك شيبوب توصي ابنها

قالت ادفيك شيبوب^(١) توصي ابنها^(٢):

يا وَلَدِي!

أريدُ أَنْ أُسِرَّ^(٣) فِي أُذُنِكَ بِكَلِمَاتٍ يَخْفُقُ لَهَا قَلْبِي مَعَ كُلِّ نَبْضَةٍ مِنْ نَبْضَاتِهِ، وَكَتَبْتُهَا بِدَمِي حَرْفًا حَرْفًا.

يَا حَبَّذَا يَا وَلَدِي هَذَا الشَّبَابُ الَّذِي أَتَرَقَّبُهُ فِيكَ وَقَلْبِي يَضْبُجُّ بِالْأَمَانِي، حَبَّذَا شَبَابُكَ يَطْلُعُ غَدًا عَلَى بِلَادِكَ، صَدْرًا عَامِرًا بِالْإِيمَانِ بِهَا، وَقَلْبًا يَزْخَرُ^(٤) بِالْبُطُولَةِ فِي سَبِيلِهَا.

يا ولدي:

أُرِيدُكَ لِبِلَادِكَ أَوَّلًا، فَبِلَادُكَ لَهَا حَقٌّ عَلَيْكَ، هُوَ حَقُّ الْأَرْضِ الَّتِي أَطْلَعْتَكَ، وَحَقُّ السَّمَاءِ الَّتِي ظَلَّلَتْكَ، وَحَقُّ هَؤُلَاءِ الْمَوَاطِنِينَ الَّذِينَ

(١) أديبة لبنانية معاصرة. اهتمت بالقضايا الوطنية والاجتماعية، وأولت عناية خاصة لشؤون الأسرة، عملت في الإذاعة اللبنانية، والصحف التي تُعنى بشؤون المرأة. من مؤلفاتها «بوح وشوق».

(٢) عن كتاب «المفيد في الأدب العربي».

(٣) أُسِرَّ: أقول لك سرًا.

(٤) يزخر: يمتلئ.

تَعِيشُ مَعَهُمْ، وَحَقُّ التَّارِيخِ الَّذِي جَعَلَهَا بِلَادًا لَكَ. هُوَ الْحَقُّ الْأَخِيرُ يَا وَلَدِي. وَلَيْسَ بَعْدَهُ حَقٌّ فِي الْأَرْضِ.

بِلَادُكَ، يَا وَلَدِي، هِيَ كَرَامَتُكَ وَشَرَفُكَ، وَفِي سَبِيلِ هَذِهِ الْكَرَامَةِ وَالشَّرَفِ لَا تَبْخُلْ بِشَيْءٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ لَا يُمْكِنُ عَطَاؤُهُ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يَجُوزُ أَنْ تَبْخُلَ بِهِ، فَأَعْطِهَا مِنْ شَبَابِكَ وَقَلْبِكَ وَعَقْلِكَ، وَلَا تَبْخُلْ عَلَيْهَا بِدَمِكَ إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَلِيَحْرُسَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ، وَيَرْعَ شَبَابَكَ وَبِلَادَكَ.

☆ ☆ ☆

الباب السادس

**من وصايا الآباء
إلى مؤدبي أولادهم**

الفصل الأول:

عبد الملك بن مروان يوصي مؤدّب ولده

قال عبد الملك بن مروان^(١) يوصي مؤدّب ولده^(٢):

عَلَّمَهُمُ الصُّدُقَ كَمَا تُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَاحْمِلُهُمُ عَلَى الْأَخْلَاقِ
الْجَمِيلَةِ، وَرَوِّهُمْ الشُّعْرَ يَشْجَعُوا وَيَنْجُدُوا، وَجَالِسْ بِهِمْ أَشْرَافَ النَّاسِ
وَأَهْلَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ أَحْسَنُ النَّاسِ رِعَةً^(٣) وَأَحْسَنُهُمْ أَدَبًا، وَجَنِّبُهُمُ
السَّفِلَةَ وَالْخَذَمَ، فَإِنَّهُمْ أَسْوَأُ النَّاسِ رِعَةً، وَأَسْوَوُهُمْ أَدَبًا، وَمُرَّهُمْ
فَلْيَسْتَاكُوا عَرْضًا، وَلْيَمُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا، وَلَا يَعْْبُوهُ عَبًّا، وَوَقَّرَهُمْ فِي
الْعَلَانِيَةِ، وَذَلَّلَهُمْ فِي السِّرِّ، وَاضْرِبْهُمْ عَلَى الْكَذِبِ، أَنَّ الْكَذِبَ يَدْعُو
إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَدْعُو إِلَى النَّارِ، وَجَنِّبُهُمْ شَتَمَ أَعْرَاضِ الرِّجَالِ،
فَإِنَّ الْحَرَّ لَا يَجِدُ مِنْ عِرْضِهِ عَوْضًا، وَإِذَا وُلُوا أَمْرًا فَاْمْنَعُهُمْ مِنْ ضَرْبِ
الْأَبْشَارِ^(٤)، فَإِنَّهُ عَارٌ بَاقٍ، وَوِثْرٌ مَطْلُوبٌ، وَاحْمِلُهُمْ عَلَى صِلَةِ الْأَرْحَامِ،
وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَدَبَ أَوْلَى بِالْغُلَامِ مِنَ النَّسَبِ.

(١) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (٢٦هـ/٦٤٦م - ٨٦هـ/٧٠٥م) من أعظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيهاً، واسع العلم متعبداً، ناسكاً. نُقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية (الزركلي: الأعلام ١٦٥/٤).

(٢) لباب الآداب ص ٢٣٠.

(٣) الرعة: الورع.

(٤) الأبخار: الناس.

الفصل الثاني :

عمر بن عبد العزيز يُوصي مؤدّب ولده

قال عمر بن عبد العزيز^(١) يُوصي سهل بن صدقة^(٢) مؤدّب ولده^(٣) :

أَمَّا بَعْدُ، فَأَنِّي اخْتَرْتُكَ عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِكَ لِتَأْدِيبِ وَلَدِي، فَصَرَفْتُهِمْ
إِلَيْكَ عَنْ غَيْرِكَ مِنْ مَوَالِيٍّ، وَذَوِي الْخَاصَةِ بِي، فَحَدَّثْتُهُمْ بِالْجَفَاءِ، فَهُوَ
أَمْعَنُ لِأَقْدَامِهِمْ، وَتَرَكْتُ الصُّحْبَةَ فَإِنَّ عَادَتَهَا تُكْسِبُ الْغَفْلَةَ، وَقِلَّةُ الصَّحْحِ
فَإِنَّ كَثْرَتَهُ تَمِيتُ الْقَلْبَ.

وَلِيَكُنْ أَوَّلُ مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَدَبِكَ بَغْضُ الْمَلَاهِي الَّتِي بَدَّوْهَا مِنْ
الشَّيْطَانِ، وَعَاقِبَتُهَا سُخْطُ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ الثَّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
أَنَّ حُضُورَ الْمَعَارِفِ وَاسْتِمَاعِ الْأَغَانِي، وَاللَّهَجَ بِهَا يُنْبِتُ النَّفَاقَ فِي قَلْبِهِ،
وَهُوَ حِينَ يُفَارِقُهَا لَا يَعْتَقِدُ مِمَّا سَمِعَتْ أُذُنَاهُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ.

وَلِيُفْتَحِ كُلُّ غُلَامٍ مِنْهُمْ بِجُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، يَتَشَبَّثُ فِي قِرَاءَتِهِ، فَإِذَا فَرَغَ

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (٦١١هـ/٦٨١م -
١٠١هـ/٧٢٠م) الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء
الراشدين تشبيهاً له بهم في العدل وحسن السياسة (الزركلي: الأعلام ٥/٥٠).

(٢) لم أقع على ترجمة له.

(٣) سيرة عمر بن العزيز ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

تناول قوسه ونبله، وخرج إلى الغرض حافياً، فرمى سبعة أرشاقٍ ثمَّ
انصرف إلى القائلة^(١)، قیلوا، فإنَّ ابنَ مسعود^(٢) رضي الله عنه كان
يقول: يا بنيَّ فإنَّ الشَّياطينَ لا تقيل.

☆ ☆ ☆

(١) القائلة: النوم بعد صلاة الظهر.

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي (١٠٠ - ٣٢ هـ / ٦٥٣ م) من أكابر الصحابة
فضلاً وعقلاً وقرباً من الرسول (ﷺ). كان خادمه، وصاحب سرّه، ورفيقه في حله
وترحاله (الزركلي: الأعلام ٤/ ١٣٧).

الفصل الثالث :

عتبة بن أبي سفيان يُوصي مؤدّب ابنه

قال عتبة بن أبي سفيان^(١) يُوصي مؤدّب ابنه^(٢) :

عتبة :

لِيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَبْدَأُ مِنْ إِصْلَاحِ بَنِي إِصْلَاحِ نَفْسِكَ، فَإِنَّ أَعْيُنَهُمْ مَعْقُودَةٌ
بِعَيْنَيْكَ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَحْسَنْتَ، وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَقْبَحْتَ،
وَعَلَّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَلَا تُكْرِهُهُمْ عَلَيْهِ فَيَمْلَوْهُ، وَلَا تَتْرُكُهُمْ مِنْهُ
فَيَهْجُرُوهُ، ثُمَّ رَوِّهِمْ مِنَ الشَّعْرِ أَعْفَى، وَمَنْ الْحَدِيثِ أَشْرَفُ، وَلَا
تُخْرِجَهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يُحْكِمُوهُ، فَإِنَّ ازْدِحَامَ الْكَلَامِ فِي
السَّمْعِ مِضَلَّةٌ لِلْفَهْمِ، وَتَهْدَدُّهُمْ بِي، وَأَدَّبَهُمْ دُونِي، وَكُنْ لَهُمْ كَالطَّبِيبِ
الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالْدَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ، وَجَنِّبَهُمْ مُحَادَثَةَ النِّسَاءِ،
وَرَوِّهِمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ، وَاسْتَرِدْنِي بزيادتك أياهم أزدك، وإياك أن تتكل

(١) هو عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس (١٠٠ - ٤٤٤هـ/
٦٦٤م) أمير مصر، وليها من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة ٤٣هـ، ثم خرج إلى
الاسكندرية مرابطاً، فابتنى داراً في حصنها القديم وتوفي بها (الزركلي: الأعلام
٢٠٠/٤).

(٢) البيان والتبيين ٦٨/٢ - ٦٩؛ وشرح مقامات الحريري ٢١٤/٥؛ وجمهرة وصايا
العرب ٣٩٨/٢ - ٣٩٩.

على عذرٍ مِنِّي لك، فقد اتَّكَلْتُ على كِفَايَةِ مِنْكَ، وزِدْ في تَأْدِيبِهِمْ أَزْدُكَ
في بَرِّي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع :

هارون الرشيد يوصي مؤدب ولده

قال هارون الرشيد^(١) يوصي الأحمر النحوي^(٢) مؤدب ولده الأمين^(٣) :

يا أحمر، إنّ أمير المؤمنين قد دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةً نَفْسِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ،
فَصَيَّرَ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً، وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً، فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

أَقْرَأَهُ الْقُرْآنَ، وَعَرَّفَهُ الْآثَارَ، وَرَوَّاهُ الْأَشْعَارَ، وَعَلَّمَهُ السُّنَنَ، وَبَصَّرَهُ
مَوَاقِعَ الْكَلَامِ وَبَدَأَهُ، وَامْنَعَهُ الضَّحِكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ، وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ

(١) هو هارون بن محمد بن منصور العباسي (١٤٩هـ/٧٦٦م - ١٩٣هـ/٨٠٩م) خامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم. كان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه: وهو صاحب وقعة البرامكة (الزركلي: الأعلام ٦٢/٨).

(٢) هو علي بن الحسن (أو المبارك) المعروف بالأحمر (١٩٤هـ/٨١٠م) مؤدب المأمون العباسي، وشيخ النحاة في عصره. كان في صباه جندياً من رجال النوبة على باب الرشيد، وأخذ العريّة عن الكسائي، فنبغ، وأوصله الكسائي إلى الرشيد، فعهد إليه بتأديب أبنائه (الزركلي: الأعلام ٢٧١/٤).

(٣) هو الأمين العباسي محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (١٧٠هـ/٧٨٧م - ١٩٨هـ/٨١٣م) تولى الخلافة بعد موت والده. نشبت الحرب بينه وبين أخيه المأمون، وانتهت بمقتله (الزركلي: الأعلام ١٢٧/٧).

مَشَايِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا إِلَيْهِ، وَرَفَعَ مَجَالِسِ الْقَوَادِ إِذَا حَضَرُوا
مَجْلِسَهُ، وَلَا تَمَرَّنْ بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فِيهَا فَائِدَةً تُفِيدُهُ إِيَّاهَا، مِنْ
غَيْرِ أَنْ تَخْرُقَ بِهِ فَتُؤْمِتَ ذِهْنَهُ، وَلَا تُمَعِنَ فِي مَسَامَحَتِهِ فَيَسْتَحْلِيَ الْفَرَاغَ
وَيَأْلَفَهُ، وَقَوِّمُهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَائِنَةِ، فَإِنْ أَبَاهُمَا، فَعَلَيْكَ
بِالشَّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكُمَا^(١).

☆ ☆ ☆

(١) شرح مقامات الحريري ٢١٥/٥؛ والفرج بعد الشدة ١٦٣/٣.

الباب السابع

من وصايا الزواج

الفصل الأول:

أمامة بنت الحارث توصي ابنتها

قالت أمامة بنت الحارث^(١) توصي ابنتها عند هداها (زواجها) إلى الحارث بن عمرو^(٢)، أحد ملوك اليمن^(٣):

أي بُنَيَّة، إِنَّ الوَصِيَّةَ لو تُرِكَتْ لِعَقْلِ وَأَدَبٍ، أو مَكْرُمَةٍ في حَسَبٍ،
لَتَرَكْتُ ذلِكَ مِنْكَ، وَلَزَوَيْتُهُ عَنْكَ، وَلَكِنَّ الوَصِيَّةَ تَذَكُّرَةٌ لِلْعَاقِلِ، وَمَنْبَهَةٌ
لِلْغَافِلِ.

أي بُنَيَّة، إِنَّهُ لو اسْتَعْنَتِ الْمَرْأَةُ بِغَنَى أَبَوَيْهَا، وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا، كُنْتُ
أَغْنِي النَّاسَ عَنِ الزَّوْجِ، وَلَكِنْ لِلرِّجَالِ خُلُقَ النِّسَاءِ، كَمَا لَهُنَّ خُلُقَ الرِّجَالِ.
أي بُنَيَّة إِنَّكَ قَدْ فَارَقْتِ الْحِوَاءَ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتِ، وَالوَكْرَ الَّذِي مِنْهُ
دَرَجْتِ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ، وَقَرِينَ لَمْ تَأْلَفِيهِ، فَأَصْبَحَ بِمَلِكِهِ عَلَيْكَ
مَلَكًا، فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا، وَأَحْفَظِي عَنِّي خَصَالًا عَشْرًا، تَكُنْ

(١) هي أمامة بنت الحارث الشيبانيَّة، فصيحة نبيلة جاهليَّة، كانت زوجة عوف بن محلم الشيباني أحد أشراف العرب في الجاهليَّة (الزركلي: الأعلام ١١/٢).

(٢) هو الحارث بن عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، من ملوك الدولة اللخميَّة في الحيرة. ولي بعد موت أخيه امرئ القيس، وطالت مدَّته (الزركلي: الأعلام ١٥٦/٢).

(٣) العقد الفريد ٨٣/٦ - ٨٤؛ والمعمر بن ١١٩؛ وجمهرة الأمثال ٥٧١/١ - ٥٧٢.

لَكَ دَرَكًا وَذِكْرًا.

فَأَمَّا الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ، فَالْمَعَاشِرَةُ لَهُ بِالْقَنَاعَةِ، وَحُسْنُ السَّمْعِ لَهُ
وَالطَّاعَةُ، فَإِنَّ فِي الْقَنَاعَةِ رَاحَةَ الْقَلْبِ، وَحُسْنُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ رَافَةٌ
الرَّبِّ.

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ والرَّابِعَةُ، فَلَا تَقَعْ عَيْنَاهُ مِنْكَ عَلَى قَبِيحٍ، وَلَا يَشَمَّ أَنْفُهُ
مِنْكَ إِلَّا طِيبَ الرِّيحِ، وَأَعْلَمِي - أَيُّ بَنِيَّةٍ - أَنَّ الْمَاءَ أَطْيَبُ الطِّيبِ
الْمَفْقُودِ، وَأَنَّ الْكُخْلَ أَحْسَنُ الْحُسْنِ الْمَوْجُودِ.

وَأَمَّا الْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ، فَالْتَّعَهُدُ لَوْقَتِ طَعَامِهِ، وَالْهُدُوءُ عِنْدَ مَنَامِهِ،
فَإِنَّ حَرَارَةَ الْجُوعِ مَلْهَبَةٌ، وَتَنْغِيصُ النَّوْمِ مَغْضَبَةٌ.

وَأَمَّا السَّابِعَةُ والثَّامِنَةُ، فَلَا حِفْظَ بِمَالِهِ، وَالرَّعَايَةَ عَلَى حَشْمِهِ وَعِيَالِهِ
فَإِنَّ الْإِحْتِفَاطَ بِالْمَالِ مِنْ حُسْنِ التَّقْدِيرِ، وَالرَّعَايَةَ عَلَى الْحَشْمِ وَالْعِيَالِ
مِنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ.

وَأَمَّا التَّاسِعَةُ والعَاشِرَةُ، فَلَا تُفْشِي لَهُ سِرًّا، وَلَا تَعْصِي لَهُ أَمْرًا، فَإِنَّكَ إِنْ
أَفْشَيْتَ سِرَّهُ لَمْ تَأْمَنِ غَدْرَهُ، وَإِنْ عَصَيْتَ أَمْرَهُ أَوْغَرْتَ صَدْرَهُ.

وَأَتَّقِي الْفَرَحَ لَدَيْهِ إِذَا كَانَ تَرَحًّا، وَالْاِكْتِثَابَ عِنْدَهُ إِذَا كَانَ فَرَحًا، فَإِنَّ
الْأُولَى مِنَ التَّقْصِيرِ، وَالثَّانِيَةَ مِنَ التَّكْدِيرِ، وَأَعْلَمِي أَنَّكَ لَنْ تَصِلِي إِلَى
ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى تُؤْثِرِي هَوَاهُ عَلَى هَوَاكَ، وَرِضَاهُ عَلَى رِضَاكَ فِيمَا أَحْبَبْتَ
وَكَرِهْتَ، وَاللَّهُ يَخِيرُ لَكَ، وَيَصْنَعُ لَكَ بِرَحْمَتِهِ.

☆ ☆ ☆

الفصل الثاني :

عامر بن الظرب العدواني يُوصي ابنته

قال عامر بن الظرب العدواني^(١) يُوصي ابنته، وقد زوّجها ابن أخيه، موجّهاً كلامه إلى امرأته ماوية بنت عوف بن فهر^(٢):

يا هذه، مري أبتك، فلا تَنْزِلَنَّ فَلَاةً إِلَّا مَعَهَا ماء، وأن تُكثِرَ
أَسْتِعْمَالَ الماءِ، فلا طيبَ أَطْيَبُ مِنْهُ، وإنَّ الماءَ جُعِلَ للأعلى جِلَاءً،
وللأسفلِ نَقَاءً، وإياك أن تميلي إلى هَوَاكِ وَرَأْيِكَ، فإنه لا رأيَ لِلْمَرْأَةِ،
وإيائي وَوَصِيَّتُكَ، فإنه لا وَصِيَّةَ لَكَ.

أخبري أبتك أنَّ الْعِشْقَ حُلُوٌّ، وأنَّ الْكِرَامَةَ الْمُؤَاتَاةُ، فلا تَسْتَكْرِهَنَّ
زَوْجَهَا مِنْ نَفْسِهَا، ولا تَمْنَعُهُ عِنْدَ شَهْوَتِهِ، فإنَّ الرِّضَا الْإِتْيَانُ عِنْدَ اللَّذَّةِ،
ولا تُكثِرُ مُضَاجَعَتَهُ، فإنَّ الْجَسَدَ إِذَا مَلَّ مَلَّ الْقَلْبُ.

ومُرِّيها فلا تَمْزَحَنَّ مَعَهُ بِنَفْسِهِ، فإنَّ ذَلِكَ يَكُونُ مِنْهُ الْانْقِبَاضُ، ومُرِّيها
فَلْتَخْبَأْ سَوْءَتَهَا مِنْهُ، فإنه وإنْ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَرَاهَا، فإنَّ كَثْرَةَ النَّظَرِ إِلَيْهَا
أُسْتِهَانَةٌ وَخِفَّةٌ.

(١) هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني، حكيم، خطيب، ورئيس من
الجاهليين. كان إمام مضر وحكمها وفارسها، وممن حرّم الخمر في الجاهلية.
وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً (الزركلي: الأعلام ٢٥٢/٣).
(٢) المعمرون ص ٦٠.

وقال يوصي صعصعة بن معاوية^(١) حين خطب إليه عمرة^(٢):
يا صَعْصَعُ، قَدْ جِئْتَ تَشْتَرِي مِنِّي كَيْدِي، وَأَكْرَمَ وَلَدِي عِنْدِي،
مَنْعْتُكَ أَوْ بَعْتُكَ، النِّكَاحُ خَيْرٌ مِنَ الْأَيْمَةِ، وَالْحَسَبُ كِفَاءُ الْحَسَبِ،
وَالزَّوْجُ الصَّالِحُ يُعَدُّ أَبًا، قَدْ أَنْكَحْتُكَ خَشِيَّةً إِلَّا أَجِدَ مِثْلَكَ.
يا مَعْشَرَ عَدَوَانِ، خَرَجْتَ كَرِيْمَتُكُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ، مِنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ
عَنْكُمْ، وَلَكِنَّهُ مَنْ خُطَّ لَهُ شَيْءٌ جَاءَهُ، رُبَّ زَارِعٍ لِنَفْسِهِ مَا حَاصِدُهُ غَيْرُهُ،
وَلَوْ لَا قَسْمُ الْحُظُوظِ مَا أَدْرَكَ الْآخِرُ مَعَ الْأَوَّلِ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ، وَلَكِنْ
رِزْقُ آكِلٍ مِنْ آجَلٍ وَعَاجِلٍ، إِنَّ الَّذِي أَرْسَلَ الْحَيَا^(٣) أَنْبَتَ الْمَرْعَى ثُمَّ
قَسَمَهُ، وَكَأَلًا لِكُلِّ فَمٍ بَقْلَةً، وَمِنْ الْمَاءِ جُرْعَةً، تَرَوْنَ وَلَا تَعْلَمُونَ، وَلَنْ
يَرَى مَا أَصِفُ لَكُمْ إِلَّا كُلُّ قَلْبٍ وَاعٍ، وَلِكُلِّ مَرْعَى رَاعٍ، وَلِكُلِّ رِزْقٍ
سَاعٍ، وَلِكُلِّ خَلْقٍ خُلُقٌ، كَيْسٌ أَوْ حُمُوقٌ، وَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ
حِسَّهُ، وَوَجَدْتُ مَسَّهُ، وَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا خَلَقَ نَفْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ مَوْضُوعًا
إِلَّا مَصْنُوعًا، وَمَا رَأَيْتُ جَائِيًا إِلَّا ذَاهِبًا، وَلَا غَانِمًا إِلَّا خَائِبًا، وَلَا نِعْمَةً
إِلَّا وَمَعَهَا بُؤْسٌ، وَلَوْ كَانَ يُمِيتُ النَّاعِسُ الدَّاءَ لَأَعَاشَهُمُ الدَّوَاءُ، فَهَلْ
لَكُمْ فِي الْعِلْمِ الْعَلِيمِ؟

قيل: وما هو؟ فقد قُلْتَ فَأَصَبْتَ، وَأَخْبَرْتَ فَصَدَقْتَ.

فقال: أرى أمورًا شَتَّى، وَشَيْئًا شَيْئًا حَتَّى.

قالوا: وما حَتَّى؟

قال: حَتَّى يَرْجِعَ الْمَيِّتُ حَيًّا، وَيَعُودَ لَا شَيْءٌ شَيْئًا، وَلِذَلِكَ خُلِقَتِ
الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ ذَاهِبِينَ. فقال:
وَيْلُ أُمَّهَا نَصِيحَةً، لَوْ كَانَ لَهَا مَنْ يَقْبَلُهَا بِقَبُولِهَا.

(١) لم أقع على ترجمة له.

(٢) المعمرون ص ٦٣ - ٦٤؛ والعقد الفريد ٣/ ٢٢٣.

(٣) الحيا: المطر.

الفصل الثالث :

أسماء بن خارجة يُوصي ابنته

قال أسماء بن خارجة الفزاري^(١) يوصي ابنته هندًا عند هداها (زواجها)^(٢):

يا بُنَيَّةُ، إِنَّ الْأُمَهَاتِ يُوَدِّبْنَ الْبَنَاتِ، وَإِنَّ أُمَّكَ هَلَكَتْ وَأَنْتَ صَغِيرَةٌ،
فَعَلَيْكَ بِأَطْيَبِ الطَّيِّبِ، الْمَاءِ، وَأَحْسَنِ الْحُسْنِ الْكُحْلِ، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ
الْمَعَاتِبَةِ، فَإِنَّهَا قَطِيعَةٌ لِلْوُدِّ، وَأَيَّاكَ وَالْغَيْرَةِ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الطَّلَاقِ، وَكُونِي
لِزَوْجِكَ أَمَةً، يَكُنْ لَكَ عَبْدًا، وَاعْلَمِي أَنِّي الْقَائِلُ لَأُمِّكَ:

خُذِي الْعَفْوَ مَنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ
وَلَا تَنْقُرِي نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمُغَيِّبُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

☆ ☆ ☆

(١) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري (١٠٠ - ٦٦٦ هـ / ٦٨٦ م) تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة بالعراق، كان سيد قومه، جوادًا مقدّمًا عند الخلفاء (الزركلي: الأعلام ١/ ٣٠٥).

(٢) الأغاني ١٨/ ١٢٨؛ والبيان والتبيين ٢/ ٤٥.

الفصل الرابع :

عبد الله بن جعفر يُوصي ابنته

قال عبد الله بن جعفر^(١) يوصي ابنته عند هداها (زواجها)^(٢):

يا بُنَيَّةُ، إِيَّاكِ وَالْغَيْرَةَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الطَّلَاقِ، وَإِيَّاكِ وَالْمَعَاتِبَةَ، فَإِنَّهَا
تُورِثُ الْبُغْضَةَ، وَعَلَيْكِ بِالزَّيْنَةِ وَالطُّيْبِ، وَأَعْلَمِي أَنَّ أَزِينَ الزَّيْنَةِ
الْكُحْلُ، وَأَطِيبِ الطَّيْبِ الْمَاءُ.



(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، (١هـ/٦٢٢م - ٨٠هـ/٧٠٠م) صحابيٌّ وُلِدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ لَمَّا هَاجَرَ أَبُوهُ إِلَيْهَا. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وُلِدَ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَتَى الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَالشَّامَ، وَكَانَ كَرِيمًا يُسَمَّى بِحَرِّ الْجُودِ، وَلِلشَّعْرَاءِ فِيهِ مَدَائِحُ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي جَيْشِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ صِفِّينَ (الزركلي: الأعلام ٧٢/٤).

(٢) البيان والتبيين ٨٨/٢.

الباب الثامن

من وصايا الزهاد

الفصل الأول:

الإمام الأوزاعي^(١) يعظ المنصور

قال الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي يعظ أبا جعفر المنصور^(٢)، الخليفة العباسي^(٣):

قال: دَخَلْتُ عليه فقال: ما أَلْذِي بَطَأَ بِكَ عَنِّي؟ قُلْتُ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وما أَلْذِي تُرِيدُ مِنِّي؟ فقال: الاقْتِبَاسُ مِنْكَ، قُلْتُ: أَنْظِرْ ما تَقُولُ، فَإِنَّ مَكْحُولًا حَدَّثَنِي عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللَّهِ نَصِيحَةٌ فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَيَقَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنَ اللَّهِ بِشُكْرِ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيَزْدَادَ إِثْمًا وَلِيَزْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا، وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِي فَلَهُ الرِّضَا، وَإِنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهَ، لَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ»، فَلَا تَجْهَلَنَّ، قال: وَكَيْفَ أَجْهَلُ؟ قال: تَسْمَعُ وَلَا تَعْمَلُ بِمَا تَسْمَعُ.

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي (٨٨هـ/٧٠٧م - ١٥٧هـ/٧٧٤م) إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها (الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٢٠).

(٢) تقدمت ترجمته في الفصل الخامس من الباب الثاني.

(٣) عيون الأخبار ٢/ ٣٣٨ - ٣٤١؛ والعقد الفريد ١/ ٣٠٥.

إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ هَذِهِ الْخِلَافَةِ بِالَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَفَتِيلِهَا وَنَقِيرِهَا، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ رُوَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ رَاعٍ يَبِيتُ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»، فَحَقِيقٌ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَكُونَ لِرَعِيَّتِهِ نَاطِرًا، وَلَمَّا أَسْتَطَاعَ مِنْ عَوْرَاتِهِمْ سَاتِرًا، وَبِالْقِسْطِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِمًا، لَا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُمْ مِنْهُ رَهَقًا، وَلَا مُسِيئُهُمْ عُذْوَانًا، فَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ^(١) يَسْتَاكُ بِهَا وَيَرْدَعُ عَنْهُ الْمُنَافِقِينَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ! اقْذِفْهَا لَا تَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا»، فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ، وَشَقَّقَ أَبْشَارَهُمْ^(٢)، وَأَنْهَبَ أَمْوَالَهُمْ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ^(٣) دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِخَدَشٍ خَدَشَهُ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ، فَهَبَطَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونَ أُمَّتِكَ».

وَأَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَعْدِلُ شَرْبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ، وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَارِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ قُدَّةٌ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا»^(٤)، إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا، وَلَوْ بَقِيَ الْمُلْكُ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ عُلِقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَذَاهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ يَتَقَمَّصُهُ! وَلَوْ ذَنْبًا^(٥) مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ

(١) الجريدة: سعة طويلة تقشر من خواصها.

(٢) الأبشار: البشر.

(٣) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) قاب قوس: ما بين المقبض والقُدَّة: ريش السهم.

(٥) الذنوب: الدلو التي يستقى بها من البئر.

صَبَّ عَلَى مَاءِ الْأَرْضِ لِأَجَنَّهُ^(١)، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَجَرَّعُهُ؟ وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ سَلْسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ، فَكَيْفَ مَنْ سُلِكَ فِيهَا، وَيُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَا يُقَوِّمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعُقْدَةِ، بَعِيدُ الْعِزَّةِ، لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، وَلَا يُخْنِقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جَرَّةٍ^(٢)، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ أَرْبَعَةً، أَمِيرٌ يَظْلِفُ^(٣) نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ، فَذَلِكَ لَهُ أَجْرُ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَصَلَاتُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ صَلَاةٍ، وَيَدُ اللَّهِ بِالرَّحْمَةِ عَلَى رَأْسِهِ تُرْفَرُفُ، وَأَمِيرٌ رَتَعَ عُمَّالَهُ، فَذَلِكَ يَحْمِلُ أَثْقَالَهُ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِ، وَأَمِيرٌ يَظْلِفُ نَفْسَهُ وَيَرْتَعُ عُمَّالَهُ، فَذَلِكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ، وَأَمِيرٌ يَرْتَعُ وَيَظْلِفُ عُمَّالَهُ، فَذَلِكَ شَرُّ الْأَكْيَاسِ.

وَأَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ قَدْ أَبْثَلْتَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ عُرِضَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَنَّهُ وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَدِّكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٤)، أَنَّ الصَّغِيرَةَ التَّبْسُّمُ، وَالْكَبِيرَةَ الضَّحِكُ، وَقَالَ: فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْكَلَامِ وَمَا عَمِلَتْهُ الْأَيْدِي، فَأَعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّ قَرَابَتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْفَعُ مَعَ الْمَخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ مُحَمَّدٍ وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ أَسْتَوْهَبَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» وَكَانَ

(١) آجَنَهُ: جَعَلَهُ آجَنًا، وَمَاءَ آجَنٍ تَغْيِيرُ طَعْمِهِ وَلَوْنِهِ.

(٢) أَيِ لَا يَنْطَوِي عَلَى حَقْدٍ وَكَرِهٍ.

(٣) يَظْلِفُ نَفْسَهُ: يَكْفُهَا عَنْ ظَلَمِ النَّاسِ.

(٤) سُورَةُ الْكَهْفِ، الْآيَةُ ٤٩.

جَدُّكَ الْأَكْبَرُ^(١)، سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِمَارَةً فَقَالَ:
«أَيُّ نَفْسٍ تُحْيِيهَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا»، نَظَرًا لَعَمِّهِ وَشَفَقَةً
عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَ فَيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَفْعًا وَلَا عَنْهُ
دَفْعًا.

هَذِهِ نَصِيحَتِي إِنْ قَبِلْتَهَا فَلِنَفْسِكَ عَمِلْتَ، وَإِنْ رَدَدْتَهَا فَتَنَفْسَكَ بَخَسْتَ
وَاللَّهُ الْمَوْفَّقُ لِلْخَيْرِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ. قَالَ: بَلَى، نَقَبْلُهَا وَنَشْكُرُ عَلَيْهَا،
وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ.



(١) يعني العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني :

صالح بن عبد الجليل يعظ الخليفة المهدي

قال صالح بن عبد الجليل^(١) يعظ المهدي^(٢) الخليفة العباسي^(٣) :
إِنَّا لَمَّا سَهَّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّرَ عَلَى غَيْرِنَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ قُمْنَا مَقَامَ
الْأَدَاءِ عَنْهُمْ؛ وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِظْهَارِ مَا فِي
أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عِنْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِ الْكُتْمَانِ فِي الثُّقَيَّةِ، وَلَا
سِيَّمَا حِينَ اتَّسَمْتَ بِمَيْسَمِ التَّوَاضُّعِ، وَوَعَدْتَ اللَّهَ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِثَارَ
الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهُ، فَجَمَعْنَا وَإِيَّاكَ مَشْهُدٌ مِنْ مَشَاهِدِ التَّمَحِيصِ، لِيُتِمَّ
مُؤَدِّيْنَا عَلَى مَوْعِدِ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ، وَقَابِلُنَا عَلَى مَوْعِدِ الْقَبُولِ، أَوْ يَرُدُّنَا
تَمَحِيصُ اللَّهِ إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَيُحَلِّينَا بِحِلْيَةِ الْكَاذِبِينَ،
فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ: مَنْ حَجَبَ
اللَّهُ عَنْهُ الْعِلْمَ عَذَّبَهُ عَلَى الْجَهْلِ، وَأَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ
وَأَذْبَرَ عَنْهُ، وَمَنْ أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْ أَلْسِنَتِنَا قُبُولَ تَحْقِيقِي وَعَمَلِي، لَا
قُبُولًا فِيهِ سُمْعَةٌ وَرِيَاءٌ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلِفُكَ مِنَّا إِعْلَامٌ لِمَا تَجْهَلُ، أَوْ مُوَاطَاةٌ
عَلَى مَا تَعْلَمُ، أَوْ تَذَكِيرٌ لَكَ مِنْ غَفْلَةٍ، فَقَدْ وَطَّنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ

(١) لم أقع على ترجمة له .

(٢) تقدّمت ترجمته في الفصل الخامس من الباب الثاني من كتابنا هذا .

(٣) البيان والتبيين ٢/ ٣٤٩ - ٣٥٠؛ وعيون الأخبار ٢/ ٣٣٣ .

صلى الله عليه وسلم على نزلها تغزية عما فات، وتحصينا من
التمادي، ودلالة على المخرج فقال: ﴿وإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ
فَأُصْغِرْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١)، فأطلع الله على قلبك بما ينور
الله به القلوب من إيثار الحق، ومنازمة الأهواء، فإنك إن لم تفعل ذلك
يُرى أثرُك وأثرُ الله عليك فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

☆ ☆ ☆

(١) سورة فصلت، الآية ٣٦.

الفصل الثالث :

رجل من الزهاد يعظ المنصور

قال رجل من الزهاد يعظ أبا جعفر المنصور^(١)، الخليفة العباسي^(٢) :
بَيْنَمَا الْمَنْصُورُ يَطُوفُ لَيْلًا إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ
ظُهُورَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ
الطَّمَعِ . فَخَرَجَ الْمَنْصُورُ فَجَلَسَ نَاحِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ
يَدْعُوهُ، فَصَلَّى الرَّجُلُ رَكَعَتَيْنِ وَأَسْتَلَمَ الرَّكْنَ، وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسُولِ فَسَلَّمَ
عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَا الَّذِي سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ مِنْ ظُهُورِ الْبَغْيِ
وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ
حَشَوْتُ مَسَامِعِي مَا أَرْمَضَنِي^(٣)، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَمَّنَّنِي عَلَى
نَفْسِي أَنْبَأْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أَصُولِهَا، وَإِلَّا أَحْتَجِزْتُ مِنْكَ وَأَقْتَصَرْتُ عَلَى
نَفْسِي فَفِيهَا لِي شَاغِلٌ، فَقَالَ : أَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ فَقُلْ، فَقَالَ :
إِنَّ الَّذِي دَخَلَهُ الطَّمَعُ حَتَّى حَالَ بَيْنَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ
لَأَنْتَ، قَالَ : وَيَحَكَ وَكَيْفَ يَدْخُلُنِي الطَّمَعُ وَالصَّفَرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ فِي

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الخامس من الباب الثاني من كتابنا هذا.

(٢) العقد الفريد ١/٣٦٤؛ وعيون الأخبار ٢/٣٣٣؛ وجمهرة وصايا العرب ٣/٣١٩ - ٣٢١.

(٣) أرمضني : آلمني.

قَبَضْتِي، وَالْحُلُوُّ وَالْحَامِضُ عِنْدِي! قَالَ:

وَهَلْ دَخَلَ أَحَدٌ مِنَ الطَّمَعِ مَا دَخَلَكَ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَسْتَرَعَاكَ
الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَغْفَلْتَ أُمُورَهُمْ، وَاهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ،
وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْجُصِّ وَالْأَجْرُ؛ وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ،
وَحِجَبَةً مَعَهُمُ السِّلَاحُ، ثُمَّ سَجَنْتَ نَفْسَكَ فِيهَا عَنْهُمْ، وَبَعَثْتَ عُمَّالَكَ فِي
جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَجَمْعِهَا، وَقَوَّيْتَهُمْ بِالرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ، وَأَمَرْتَ
بِأَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ نَفَرٌ سَمَّيْتَهُمْ، وَلَمْ تَأْمُرْ
بِإِصَالِ الْمَظْلُومِ وَلَا الْمَلْهُوفِ، وَلَا الْجَائِعِ الْعَارِي، وَلَا الضَّعِيفِ
الْفَقِيرِ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ، فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ
أَسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَأَثَرْتَهُمْ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَأَمَرْتَ أَلَّا يُحْجَبُوا عَنْكَ،
تَجَبَّى الْأَمْوَالَ وَتَجَمَّعُهَا وَلَا تَقْسِمُهَا قَالُوا: هَذَا قَدْ خَانَ اللَّهَ فَمَا بَالُنَا لَا
نَخُونُهُ وَقَدْ سَجَنَ لَنَا نَفْسَهُ! فَاتَّمَرُوا بِأَلَّا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ
شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادُوا، وَلَا يَخْرُجَ لَكَ عَامِلٌ فَيُخَالِفَ أَمْرَهُمْ إِلَّا قَصْبُوهُ^(١)
عِنْدَكَ، وَنَفَوْهُ حَتَّى تَسْقُطَ مَنْزِلَتُهُ وَيَصْغُرَ قَدْرُهُ، فَلَمَّا أَنْشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ
وَعَنْهُمْ، أَغْظَمَهُمُ النَّاسُ وَهَابُوهُمْ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَانَعَهُمْ عُمَّالُكَ
بِالْهَدَايَا وَالْأَمْوَالِ لِيَقْوُوا بِهَا عَلَى ظُلْمِ رَعِيَّتِكَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذُوو الْقُدْرَةِ
وَالثَّرْوَةِ مِنْ رَعِيَّتِكَ لِيَنَالُوا بِهِ ظُلْمَ مَنْ دُونَهُمْ، فَامْتَلَأَتْ بِلَادُ اللَّهِ بِالطَّمَعِ
بَغْيًا وَفَسَادًا، وَصَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ شُرَكَاءَكَ فِي سُلْطَانِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ، فَإِنْ
جَاءَ مُتَظَلِّمٌ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ مَدِينَتِكَ، فَإِنْ أَرَادَ رَفْعَ قِصَّتِهِ إِلَيْكَ عِنْدَ
ظُهُورِكَ وَجَدَكَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ ذَلِكَ؛ وَأَوْقَفْتَ لِلنَّاسِ رَجُلًا يَنْظُرُ فِي
مَظَالِمِهِمْ، فَإِنْ جَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَبَلَغَ بِطَانَتِكَ خَبْرَهُ سَأَلُوا صَاحِبَ

(١) قصبوه: شتموه.

الْمَظَالِمَ أَلَّا يَرْفَعَ مَظْلِمَتَهُ إِلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَظْلَمَ مِنْهُ لَهُ بِهِمْ حُرْمَةٌ، فَأَجَابَهُمْ
 خَوْفًا مِنْهُمْ، فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُودُ بِهِ، وَيَشْكُو وَيَسْتَغِيثُ،
 وَهُوَ يَدْفَعُهُ وَيَعْتَلُّ عَلَيْهِ، فَإِذَا أُجْهِدَ وَأُحْرِجَ وَظَهَرَتْ، صَرَخَ بَيْنَ يَدَيْكَ،
 فَضْرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا لِيَكُونَ نَكَالًا لِغَيْرِهِ، وَأَنْتَ تَنْظُرُ فَلَا تُنْكِرُ، فَمَا بَقَاءُ
 الْإِسْلَامِ عَلَى هَذَا! وَقَدْ كُنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسَافِرُ إِلَى الصِّينِ،
 فَقَدِمْتُهَا مَرَّةً وَقَدْ أُصِيبَ مَلِكُهَا بِسَمْعِهِ، فَبَكَى يَوْمًا بُكَاءً شَدِيدًا، فَحَثَّه
 جُلَسَاؤُهُ عَلَى الصَّبْرِ فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي لِلْبَلِيَّةِ النَّازِلَةِ بِي، وَلَكِنِّي
 أَبْكِي لِمَظْلُومٍ بِالْبَابِ يَصْرُخُ وَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا إِذَا ذَهَبَ
 سَمْعِي فَإِنَّ بَصَرِي لَمْ يَذْهَبْ، نَادُوا فِي النَّاسِ أَلَّا يَلْبَسَ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا
 مُتَظَلِّمٌ، ثُمَّ كَانَ يَرْكَبُ الْفِيلَ طَرْفِي نَهَارِهِ، وَيَنْظُرُ هَلْ يَرَى مَظْلُومًا، فَمِنْ هَذَا
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ غَلَبَتْ رَأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ شُحَّ نَفْسِهِ، وَأَنْتَ
 مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ثُمَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ؛ لَا تَغْلِبُ رَأْفَتَكَ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى شُحِّ
 نَفْسِكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ أَلْمَالَ لَوْلَدِكَ، فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي
 الطُّفْلِ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَمَا لَهُ عَلَى الْأَرْضِ مَالٌ، وَمَا مِنْ مَالٍ إِلَّا
 وَدُونَهُ يَدٌ شَحِيحَةٌ تَحْوِيهِ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَلْطِفُ بِذَلِكَ الطُّفْلِ حَتَّى تَعْظُمَ
 رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَسْتُ بِالَّذِي يُعْطِي بَلِ اللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ،
 وَإِنْ قُلْتَ، إِنَّمَا أَجْمَعُ أَلْمَالَ لِتَشْدِيدِ السُّلْطَانِ، فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي
 بَنِي أُمِّيَّةٍ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا جَمَعُوا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَعَدُّوا مِنَ
 الرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْكُرَاعِ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ مَا أَرَادَ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا
 أَجْمَعُ أَلْمَالَ لِطَلَبِ غَايَةٍ هِيَ أَجْسَمُ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا، فَوَاللَّهِ مَا
 فَوْقَ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا مَنَزِلَةٌ لَا تُذَرُّ إِلَّا بِخِلَافٍ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ تُعَاقِبُ مَنْ عَصَاكَ بِأَشَدِّ مِنَ الْقَتْلِ؟ قَالَ الْمَنْصُورُ: لَا،
 قَالَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْمَلِكِ الَّذِي خَوَّلَكَ مُلْكَ الدُّنْيَا وَهُوَ لَا يُعَاقِبُ مَنْ

عَصَاهُ بِالْقَتْلِ ! وَلَكِنْ بِالْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، قَدْ رَأَى مَا قَدْ عُقِدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ؛ وَعَمِلَتْهُ جَوَارِحُكَ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ بَصَرُكَ، وَأَجْتَرَحَتْهُ يَدَاكَ، وَمَشَتْ إِلَيْهِ رِجْلَاكَ، هَلْ يُغْنِي عَنْكَ مَا شَحَحْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَزَعَهُ مِنْ يَدِكَ وَدَعَاكَ إِلَى الْحِسَابِ؟ فَبَكَى الْمَنْصُورُ وَقَالَ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُخْلَقْ! وَيَحَاكَ! فَكَيْفَ أَحْتَالُ لِنَفْسِي؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِلنَّاسِ أَعْلَامًا يَفْزَعُونَ إِلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ، وَيَرْضَوْنَ بِهِمْ، فَأَجْعَلْهُمْ بِطَانَتَكَ يَرْشُدُوكَ، وَشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرِكَ يُسَدِّدُوكَ، قَالَ: قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْهِمْ فَهَرَبُوا مِنِّي، قَالَ: خَافُوا أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى طَرِيقَتِكَ، وَلَكِنْ أَفْتَحْ بَابَكَ، وَسَهِّلْ حِجَابَكَ، وَأَنْصُرِ الْمَظْلُومَ، وَأَقْمَعَ الظَّالِمَ، وَخُذِ الْفَيءَ وَالصَّدَقَاتِ مِمَّا حَلَ وَطَابَ، وَأَقْسِمُهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَنَا الضَّامِنُ عَنْهُمْ أَنْ يَأْتُوكَ وَيُسَاعِدُوكَ عَلَى صَلاَحِ الْأُمَّةِ.

☆ ☆ ☆

الباب التاسع

من وصايا السفر

الفصل الأول :

لقمان الحكيم يوصي ابنه

قال لقمان الحكيم^(١) يوصي ابنه^(٢) :

يا بُنَيَّ، إِذَا سَافَرْتَ فَلَا تَسَمْ عَلَى دَائِتِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ سَرِيعٌ فِي دَبْرِهَا، فَإِذَا نَزَلْتَ أَرْضًا مُكَلِّئَةً^(٣) فَأَعْطِهَا مِنَ الْكَلَاءِ، وَأَبْدَأْ بِعَلْفِهَا وَسَقِّهَا قَبْلَ نَفْسِكَ، وَإِذَا بَعُدْتَ عَلَيْكَ الْمَنَازِلُ فَعَلَيْكَ بِالدَّلْجِ^(٤)، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَدْتَ التَّزُولَ، فَلَا تَنْزِلْ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ وَالسَّبَاعِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ بِأَحْسَنِهَا لَوْثًا، وَقُلْ: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^(٥).

وَإِذَا أَرَدْتَ قَضَاءَ حَاجَةٍ، فَأَبْعِدِ الْمَذْهَبَ فِي الْأَرْضِ، وَعَلَيْكَ بِالشُّتْرَةِ، وَإِذَا أَرْتَحَلْتَ مِنْ مَنَزِلٍ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَوَدِّعِ الْأَرْضَ الَّتِي أَرْتَحَلْتَ عَنْهَا، وَسَلِّمْ عَلَيْهَا وَعَلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لِكُلِّ بُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ أَهْلًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَإِذَا مَرَرْتَ بِبُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ وَادٍ، أَوْ جَبَلٍ، فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ،

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الخامس من كتابنا هذا.

(٢) عيون الأخبار ١/١٣٥.

(٣) مكلئة: معشبة.

(٤) الدلج: السير آخر الليل.

(٥) سورة المؤمنون، الآية ٢٩.

فَإِنَّ الْجِبَالَ وَالْبِقَاعَ يُنَادِي بَعْضُهَا بَعْضًا: هَلْ مَرَّ بِكُنَّ الْيَوْمَ ذَاكِرٌ لِلَّهِ؟
وإنِ اسْتَطَعْتَ إِلَّا تُطْعَمْ طَعَامًا حَتَّى تَتَّصِدَّقَ مِنْهُ فَأَفْعَلْ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ
اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ مَا دُمْتَ رَاكِبًا، وبِالتَّسْبِيحِ مَا دُمْتَ صَائِمًا، وبِالدُّعَاءِ مَا
دُمْتَ خَالِيًا.

وإِيَّاكَ وَالسَّيْرَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ؛ وَعَلَيْكَ بِالتَّعْرِيسِ، وَالدَّلْجَةِ مِنْ نَصْفِ
اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ، وَإِيَّاكَ وَرَفَعَ الصَّوْتِ فِي سَيْرِكَ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ.

وَسَافِرِ بِسَيْفِكَ، وَقَوْسِكَ، وَجَمِيعِ سِلَاحِكَ، وَخُفِّكَ، وَعِمَامَتِكَ،
وإِبْرَتِكَ، وَخُيُوطِكَ، وَتَزَوَّدْ مَعَكَ الْأَدْوِيَةَ، تَتَنَفَّعَ بِهَا، وَتَنْفَعَنَّ مَنْ
صَحِبَكَ مِنَ الْمَرْضَى وَالزَّمَنَى.

وَكُنْ لِأَصْحَابِكَ مُوَافِقًا فِي كُلِّ شَيْءٍ يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ، وَيُبَاعِدُكَ عَنْ
مَعْصِيَتِهِ، وَأَكْثِرِ التَّبَسُّمَ فِي وُجُوهِهِمْ، وَكُنْ كَرِيمًا عَلَى زَادِكَ بَيْنَهُمْ، وَإِذَا
دَعَاكَ فَأَجِبْهُمْ، وَإِذَا اسْتَعَانُوكَ فَأَعِنْهُمْ، وَإِذَا اسْتَشْهَدُوكَ عَلَى الْحَقِّ
فَاشْهَدْ لَهُمْ، وَأَجْهِدْ رَأْيَكَ، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يَمْشُونَ فَأَمْشِ مَعَهُمْ، أَوْ
يَعْمَلُونَ فَأَعْمَلْ مَعَهُمْ، وَإِنْ تَصَدَّقُوا أَوْ أَعْطُوا فَأَعْطِ، وَأَسْمَعْ لِمَنْ هُوَ
أَكْبَرُ مِنْكَ.

وإنِ تَحَيَّرْتُمْ فِي طَرِيقٍ فَأَنْزِلُوا، وَإِنْ شَكَكْتُمْ فِي الْقَصْدِ فَتَبَتُّوا
وَتَأَمَّرُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمْ خِيَالًا وَاحِدًا فَلَا تَسْأَلُوهُ عَنْ طَرِيقِكُمْ، فَإِنَّ الشَّخْصَ
الوَاحِدَ فِي الْفَلَاةِ هُوَ الَّذِي حَيَّرَكُمْ، وَأَحْذَرُوا الشَّخْصَيْنِ أَيْضًا؛ إِلَّا أَنْ
تَرَوْا مَا لَا أَرَى، فَإِنَّ الشَّاهِدَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ، وَإِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا
أَبْصَرَ شَيْئًا بِعَيْنِهِ عَرَفَ الْحَقَّ بِقَلْبِهِ.

☆ ☆ ☆

الفصل الثاني :

أعرابيَّة توصي ابنها

قالت أعرابيَّة تُوصي ولدًا لها أراد سفرًا^(١) :
أي بُنَيَّ، اجلسْ أَمْنَحَكَ وَصِيَّتِي، وبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ، وَقَلِيلُ إِجْدَائِهِ^(٢)
عَلَيْكَ، أَنْفَعُ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ.
إِيَّاكَ وَالنَّمَائِمَ، فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الضَّغَائِنَ، وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ، وَلَا تَجْعَلْ
نَفْسَكَ غَرَضًا لِلرُّمَاءِ، فَإِنَّ الْهَدَفَ إِذَا رُمِيَ لَنْ يَلْبَثَ أَنْ يَنْثَلِمَ.
وَمِثْلُ نَفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَخَسَّتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَأَعْمَلْ بِهِ، وَمَا كَرِهَتْهُ مِنْهُ
فَدَعُهُ وَاجْتَنِبْهُ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشْرُهُ، كَانَ كَالرَّيْحِ فِي تَصَرُّفِهَا.
إِذَا هَزَزْتَ فَهَزَّ كَرِيمًا، فَإِنَّ الْكَرِيمَ يَهْتَزُّ لِهَزَّتِكَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّيِّمَ، فَإِنَّهُ
صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا، وَإِيَّاكَ وَالْعُذْرَ، فَإِنَّهُ أَقْبَحُ مَا تُعْمَلُ بِهِ.
وَعَلَيْكَ بِالْوَفَاءِ، فَفِيهِ النَّمَاءُ، وَكُنْ بِمَالِكَ جَوَادًا، وَبِدِينِكَ شَاحِيحًا
وَمَنْ أُعْطِيَ السَّخَاءَ وَالْحِلْمَ، فَقَدْ اسْتَجَادَ الْحِلَّةَ رَیْطَتَهَا وَسِرْبَالَهَا.
انهض على اسم الله.

☆ ☆ ☆

(١) زهر الآداب ٢/ ١٠٠.

(٢) الإجداء: العطاء.

الفصل الثالث :

امراة تُوصي ابنها

قالت امراة توصي ابناً لها وقد أراد سفرًا^(١):

إي بُنَيَّ، أوصيك بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ قَلِيلَهُ أَجْدَى عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ
عَقْلِكَ، وَإِيَّاكَ وَالنَّمَائِمَ، فَإِنَّهَا تُورِثُ الضَّغَائِنَ، وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ
وَمَثَلُ لِنَفْسِكَ مِثَالاً، مَا تَسْتَحْسِنُ لِغَيْرِكَ ثُمَّ اتَّخِذْهُ إِمَامًا، وَمَا تَسْتَقْبَحُ مِنْ
غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ؛ فَتُصَيِّرَ نَفْسَكَ غَرَضًا، وَخَلِيقُ
أَنْ لَا يَلْبَثَ الْغَرَضُ^(٢) عَلَى كَثَرَةِ السَّهَامِ، وَإِيَّاكَ وَالْبُخْلَ بِمَالِكَ،
وَالْجُودَ بِدِينِكَ.

وَالْعُذْرُ أَقْبَحُ مَا يُعَامَلُ بِهِ الْإِخْوَانُ، وَكَفَى بِالْوَفَاءِ جَامِعًا لِمَا تَشَتَّتَ
مِنْ الْإِخَاءِ، وَمَنْ جَمَعَ الْحِلْمَ وَالسَّخَاءَ فَقَدْ اسْتَجَادَ الْحِلَّةَ، وَالْفُجُورُ
أَقْبَحُ حُلَّةٍ، وَأَبْقَى عَارًا.

☆ ☆ ☆

(١) بلاغات النساء ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) الغرض: هدف الرامي .

وقالت امرأة أخرى توصي أبنها وقد أراد سفرًا^(١):
يا بُنَيَّ، إِنَّكَ تُجَاوِرُ الْغُرَبَاءَ، وَتَرْحَلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ، وَلَعَلَّكَ لَا تَلْقَى
غَيْرَ الْأَعْدَاءِ، فَخَالِطِ النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبَشْرِ، وَأَتَّقِ اللَّهَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَالْسِّرِّ.
☆ ☆ ☆

(١) زهر الآداب ٩٩/٢ .

الفصل الرابع :

رجل يوصي آخر

قال رجل يوصي آخر أراد سفرًا^(١) :
آثِرْ بِعَمَلِكَ مَعَادَكَ ، وَلَا تَدْعُ لِشَهَوَاتِكَ رَشَادَكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرَكَ
الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَعْصِمُكَ مِنَ الرَّدَى .
الْجِمْ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَأَطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ، فَإِنَّكَ تَبْرُ بِذَلِكَ
سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ شَرَفَكَ .

☆ ☆ ☆

(١) أمالي القالي ١/١٩٧ ؛ وزهر الآداب ٢/٩٩ .

الفصل الخامس :

حكيم يُوصي صديقه

قال حكيم يوصي صديقاً له أراد سفرًا^(١):

إِنَّكَ تَدْخُلُ بَلَدًا لَا تَعْرِفُهُ، وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ، فَتَمَسَّكَ بِوَصِيَّتِي تَنْفُقَ
بِهَا فِيهِ.

عَلَيْكَ بِحُسْنِ الشَّمَائِلِ، فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْحُرِّيَّةِ، وَنَقَاءِ الْأَطْرَافِ فَإِنَّهَا
تَشْهَدُ بِالْمُلُوكِيَّةِ، وَنِظَافَةِ الْبَرَّةِ، فَإِنَّهَا تُنْبِئُ عَنِ النَّشْءِ فِي النِّعْمَةِ،
وَطِيبِ الرَّائِحَةِ فَإِنَّهَا تُظْهِرُ الْمَرْوَّةَ، وَالْأَدَبَ الْجَمِيلَ، فَإِنَّهُ يُكْسِبُ
الْمَحَبَّةَ.

وَلْيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ، وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ، وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ.
وَالزِّمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنْفَةَ، وَإِنَّكَ إِنْ أَسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْغَضَاضَةِ، اجْتَنَبْتَ
الْخَسَاسَةَ، وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْغَلْبَةِ لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ.

☆ ☆ ☆

(١) زهر الآداب ٩٩/٢؛ وشرح مقامات الحريري ١/٣٤٤ - ٣٤٥.

الباب العاشر

من وصايا الشعرية

الفصل الأول :

ذو الإصبع العدواني يُوصي ابنه

قال ذو الإصبع العدواني^(١) يُوصي ابنه أسيداً لما حضرته الوفاة^(٢) :
يا بُنَيَّ، إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ، وَعَاشَ حَتَّى سَيِّمَ الْعَيْشَ، وَإِنِّي
مَوْصِيكَ بِمَا إِن حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتُهُ فَأَحْفَظْ عَنِّي :
الْإِن جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ، وَتَوَاضَعَ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ
وَجْهَكَ^(٣) يُطِيعُوكَ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ، وَأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا
تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ، يُكْرِمُكَ كِبَارُهُمْ، وَيَكْبِرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ، وَأَسْمَحْ
بِمَالِكَ، وَأَحْمِ حَرِيمَكَ، وَأَعِزُّ جَارَكَ، وَأَعِزْ مَنْ أَسْتَعَانَ بِكَ، وَأَكْرِمْ
ضَيْفَكَ، وَأَسْرِعِ التَّهَضُّبَةَ فِي الصَّرِيخِ^(٤)، فَإِنَّ لَكَ أَجْلاً لَا يَعْدُوكَ^(٥)، وَصُنْ
وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئاً، فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُودُوكَ. ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :
أَسِيدُ إِن مَالاً مَلَكْتُ تَ فَسِرْ بِهِ سَيْرًا جَمِيلًا

(١) هو حرثان بن الحارث بن محرث (٥٥٠ - نحو ٦٠٠ ق هـ / نحو ٦٠٠ م) شاعر جاهلي حكيم. لقب بذو الإصبع لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها، وقيل: كانت له إصبع زائدة، شعره مليء بالفخر والحكمة (الزركلي: الأعلام ٢ / ١٧٣).

(٢) ديوانه ص ١٥

(٣) أي: أحسن استقبالهم.

(٤) أي: عند طلب المساعدة.

(٥) أي: لا يتقدم ولا يتأخر.

آخِ الْكِرَامَ إِنِ اسْتَطَعْتَ
 وَأَشْرَبْ بِكَاسِهِمْ وَإِنْ
 أَهِنَ اللَّثَامَ وَلَا تَكُنْ
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا تَوَا
 وَدَعَ الَّذِي يَعِدُ الْعَشِي
 أَبْنَىٰ إِنَّ الْمَالَ لَا
 أَسِيدُ إِنْ أَزْمَعْتَ مِنْ
 فَاحْظُ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَا
 وَأَرْكَبْ بِنَفْسِكَ إِنْ هَمَمَ
 وَصِلِ الْكِرَامَ وَكُنْ لِمَنْ
 وَدَعَ التَّوَانِي فِي الْأُمُورِ
 وَأَبْسُطْ يَمِينَكَ بِاللَّيْثِ
 وَأَبْسُطْ يَدَيْكَ بِمَا مَلَكَ
 وَأَعِزِّمْ إِذَا حَاوَلْتَ أَمْرًا
 وَأَبْذُلْ لِضَيْفِكَ ذَاتَ رَحْمَةٍ
 وَأَحْلُلْ عَلَى الْأَيْفَاعِ لِلدِّ

سَتَ إِلَى إِخَائِهِمْ سَبِيلًا
 شَرِبُوا بِهِ الشُّمَّ الثَّمِيلَا^(١)
 لِإِخَائِهِمْ جَمَلًا ذُلُولًا
 خِيَهُمْ وَجَدْتَ لَهُمْ فُضُولًا
 سِرَّةً أَنْ يَسِيلَ وَلَنْ يَسِيلَا^(٢)
 يَنْكِي إِذَا فَقَّدَ الْبَخِيلَا
 بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ رَحِيلَا
 رُ أَخَا أَخِيكَ أَوْ الزَّمِيلَا^(٣)
 سَتَ بِهَا الْحَزُونََةَ وَالشُّهُولَا^(٤)
 تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَصُولَا
 رِ وَكُنْ لَهَا سَلَسًا ذُلُولَا^(٥)
 وَأَمْدُدْ لَهَا بَاعًا طَوِيلَا^(٦)
 سَتَ وَشَيْدِ الْحَسَبِ الْأَثِيلَا^(٧)
 رَا يُفْرِجُ أَلْهَمَ الدَّخِيلَا
 لِكَ مُكْرِمًا حَتَّى يَزُولَا
 عَافِينَ وَأَجْتَنِبِ الْمَسِيلَا^(٨)

(١) الثميل: القليل.

(٢) أي يعدها بالكرم ثم لا يفعل.

(٣) شحط المزار: بعد المكان.

(٤) الحزونة: الأرض الخشنة.

(٥) التواني: التأخير في الأمور والكسل في القيام بها.

(٦) الباع: قدر مدّ اليدين.

(٧) الأثيل: الأصيل.

(٨) الأيفاع: جمع يفع، وهو المرتفع من الأرض.

وَإِذَا الْقُرُومُ تَخَاطَرَتْ يَوْمًا وَأَرَعَدَتْ الْخَصِيلَ^(١)
فَأَهْصِرُ كَهَاضِرِ اللَّيْلِ ثِ خَضَّبَ مِنْ فَرَيْسَتِهِ التَّلِيلَ^(٢)
وَأَنْزَلَ إِلَى الْهَيْجَا إِذَا أَبْطَالُهَا كَرِهُوا التُّزُولَا
وَإِذَا دُعِيَتْ إِلَى الْمُهِمِّ فَكُنْ لِفَادِحِهِ حَمُولَا^(٣)

☆ ☆ ☆

(١) القروم: جمع قرم وهو السيد. الخصيل: كل لحمة فيها عصب، وأراد معنى التهيؤ والاستعداد للمعركة.

(٢) التليل: العنق.

(٣) المهم: صفة لكل أمرٍ عظيم جلل.

الفصل الثاني :

الإمام عليّ بن أبي طالب يُوصي

كتب الإمام عليّ^(١)، كرم الله وجهه، إلى ابنه الحسين^(٢) يقول:

أَحْسَيْنُ إِنِّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبٌ
وَأَحْفَظٌ وَصِيَّةٌ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ
أُبْنِي إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ
لَا تَجْعَلَنَّ أَلْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا
كَفَلَ إِلَهُ رِزْقَ كُلِّ بَرِيَّةٍ
وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلْقَتِ نَاطِرٍ
وَمِنَ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا
أُبْنِي إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ
وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَةٍ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذْلِهِ
إِنِّي أَبُوءُ بِعَشْرَتِي وَخَطِيئَتِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا

فَأَفْهَمُ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُتَادِّبُ
يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تُعْطَبُ
فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
وَتُقَى إِلَهَكَ فَاجْعَلْنِ مَا تَكْسِبُ
وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبِّبُ
وَالطَّيْرُ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوِّبُ
فَمَنْ أَلْذِي بِعِظَاتِهِ يَتَادَّبُ
وَأَنْصِتْ إِلَى الْأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ
تَصِفُ الْعَذَابَ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَسْكُبُ
لَا تَجْعَلْنِي فِي الَّذِينَ تُعَذِّبُ
هَذَا وَهَلْ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَهْرَبُ
وَصَفُ الْوَسِيلَةِ وَالنَّعِيمِ الْمُعْجَبُ

(١) تقدّمت ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول من كتابنا هذا.

(٢) تقدّمت ترجمته في الفصل السابع من الباب الخامس من كتابنا هذا.

فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
وَأَجْهَدُ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا
بَادِرُ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَأَغْمِضْ لَهُ
وَالضَّيْفَ أَكْرَمَ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَارَهُ
وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ
وَأَطْلُبْهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ
وَأَحْذَرْ ذَوِي الْمَلِكِ اللَّئَامَ فَإِنَّهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي

دَارَ الْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ
وَتَنَالَ مُلْكَ كَرَامَةٍ لَا تُسْلَبُ
خَوْفَ الْغَوَالِبِ إِذْ تَجِيءُ وَتَغْلِبُ
كَأَبٍ عَلَى أَوْلَادِهِ يَتَحَدَّبُ
حَتَّى يَعُدَّكَ وَارِثًا يَتَنَسَّبُ
حَفِظَ الْإِخَاءَ وَكَانَ دُونَكَ يَقْرُبُ
وَدَعَ الْكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ
وَيَرُوعُ عَنْكَ كَمَا يَرُوعُ الثُّغْلَبُ
فِي النَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَحْطَبُ
وَإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفَرَا وَتَغَيَّبَا
وَالنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

☆ ☆ ☆

وَكُتِبَ لَهُ أَيْضًا:

عَلَيْكَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
فَلَا تَصْحَبَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
وَكُفَّ الْأَذَى وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَتَّقِي
وَنَافِسْ بِبَذْلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
وَعُضِّ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ

وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ
عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ
فَدَيْتُكَ فِي وَدِّ الْخَلِيلِ الْمُسَاعِدِ
بِهَمَّةٍ مَحْمُودِ الْخَلَائِقِ مَا جَدِ
يَصُنُّكَ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَاسِدٍ
وَلَا تَكُ فِي النِّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاحِدٍ
أَذَى الْجَارِ وَأَسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ الْمَحَامِدِ

وَقَالَ أَيْضًا:

قَدِّمِ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَزَوُّدًا
وَأَهْتَمَّ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ

فَلَقَدْ تَفَارَقُهَا وَأَنْتَ مُودِّعُ
أَنَايَ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ

وَأَجْعَلْ تَزَوُّدَكَ الْمَخَافَةَ وَالْتَّقَى
وَأَقْنَعْ بِقُوَّتِكَ فَالْقَنَاعُ هُوَ الْغِنَى
وَأُحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّئَامِ فَإِنَّهُمْ
أَهْلُ الْمَوَدَّةِ مَا أُنَلَّتْهُمْ الرِّضَا
لَا تُفْشِ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرٍ
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقِي فِي مَجْلِسٍ
فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْفَتَى
وَدَعِ الْمُزَاحَ قَرُبًا لَفْظَةً مَازِحَ
وَحِفَاطَ جَارٍ لَا تُضِغْهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا اسْتَقَالَكَ ذُو الْأَسَاءَةِ عَشْرَةٌ
وَإِذَا اتُّمِنْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَأَخْفِهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَاطِعُ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ
وقال أيضًا:

صُنِ النَّفْسَ وَأَحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُرِينَ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً
وإن ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَعِزُّ غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرٍ مُتَلَوِّنٍ
جَوَادٌ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخَذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ

☆ ☆ ☆

فَلْعَلَّ حَتْفَكَ فِي مَسَائِكَ أُسْرِعُ
وَالْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَقْنَعُ
مَنْعُوكَ صَفْوٌ وَدَادِهِمْ وَتَصَنَّعُوا
وَإِذَا مَنَعْتَ فَسَمُّهُمْ لَكَ مُنْقَعُ
يَفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِرًا يَسْتَوْدِعُ
فَكْذًا بِسِرِّكَ لَا مَحَالَةَ يَصْنَعُ
قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنَعُ
وَلَعَلَّهُ خَرِقُ سَفِيهِهِ أَرْقَعُ
جَلَبَتْ إِلَيْكَ بَلَابِلًا لَا تُدْفَعُ
لَا يَبْلُغُ الشَّرَفَ الْجَسِيمَ مُضَيِّعُ
فَاقِلُهُ إِنَّ ثَوَابَ ذَلِكَ أَوْسَعُ
وَأَسْتُرُ عُيُوبِ أَخِيكَ حِينَ تَطْلَعُ
خَرِقُ الرِّجَالِ عَلَى الْحَوَادِثِ يَجْزَعُ
إِنَّ الْمُطِيعَ أَبَاهُ لَا يَتَضَعَّضُ

تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ
نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ
عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
وَيَغْنَى غِنَى الْمَالِ وَهُوَ ذَلِيلُ
إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
وَعِنْدَ أَحْتِمَالِ الْفَقْرِ عَنْكَ بَخِيلُ
وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

الفصل الثالث :

ابن الوردي يُوصي

قال ابن الوردي^(١):

إِعْتَزِلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْغَزَلِ
وَدَعْ الذُّكْرَ لِأَيَّامِ الصَّبَا
وَأَتْرُكِ الْعَادَةَ لَا تَحْفِلْ بِهَا
وَأَفْتِكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي
وَأَهْجُرِ الْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًى
وَاتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهَ مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا
كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
أَيَّنَ نُمِرُودُ وَكَنْعَانُ وَمَنْ
أَيَّنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنَوْا
أَيَّنَ أَرْبَابُ الْحِجَى أَهْلُ الْتَهَى
سَيُعِيدُ اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمْ
وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
فَلَأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفَلُ
تُمْسٍ فِي عِزٍّ رَفِيعٍ وَتُجَلُّ
أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلُّ
كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ
جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرٍ إِلَّا وَصَلَ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ الْبَطْلُ
فَلَمْ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلَ
هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ الْقُلُلُ
أَيَّنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ
وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ

(١) هو عمر بن مظفر بن عمر محمد (٦٩١هـ/١٢٩٢م - ٧٤٩هـ/١٣٤٩) شاعر أديب مؤرخ. ولد في معرة النعمان بسورية، وولي قضاء منبج، وتوفي بحلب. له ديوان شعر، ومن مؤلفاته «بهجة الحاوي»، و«الشهاب الثاقب» (الزركلي: الأعلام ٦٧/٥).

يَا بُنَيَّ أَسْمَعْ وَصَايَا جَمَعَتْ
 أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
 وَاخْتَفِلْ لِلْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا
 وَأَهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ
 لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ
 فِي أَزْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى
 جَمَلِ الْمُنْطِقِ بِالنَّخْوِ فَمَنْ
 انْظِمِ الشَّعْرَ وَلَا زِمَ مَذْهَبِي
 فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
 أَنَا لَا اخْتَارُ تَقْيِيلَ يَدِ
 مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةُ
 إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا
 عَيْشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَخْصِيلِهَا
 كَمْ جَهُولٍ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا
 كَمْ شَجَاعٍ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمُنَى
 فَأَتْرُكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَأَتَكِلْ
 لَا تَقُلْ أَضْلَى وَفَضْلَى أَبَدًا
 قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبِي
 إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوْكِ وَمَا
 قِيمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُخْسِنُهُ
 بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَبُخْلِ رُثْبَةٍ
 لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدٍّ وَلَوْ
 دَارَ جَارَ الشُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ
 جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَخْذَرَ بَطْشَهُ
 لَا تَلِ الْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا

حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلِكِ
 أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
 تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلٍ
 يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَدَلُ
 كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلُ
 وَجَمَالُ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
 يُخْرِمُ الْإِعْرَابَ بِاللُّطْفِ اخْتَبَلْ
 فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ النَّحْلَ
 أَحْسَنَ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يُتَذَلْ
 قَطْعُهَا أَجْمَلُ مِنْ تِلْكَ الْقُبْلِ
 وَعَنِ الْبَحْرِ أَجْزَاءُ بِالْوَشَلِ
 تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلَ
 عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقْلُ
 وَعَلِيمٍ بَاتَ مِنْهَا فِي عِلَلِ
 وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ
 إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيلِ
 إِنَّمَا أَضْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ
 وَبِحُسْنِ السَّبْكِ قَدْ يُنْفَى الدَّغْلُ
 يَنْبُتُ النَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلِ
 أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمْ أَقْلُ
 وَكِلَا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَلَّ
 حَاوَلَ الْعِزْلَةَ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ
 لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى الثُّقُلِ
 لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
 رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفْ مَنْ عَذَلْ

إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ
 قَصَّرَ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا تَقُزُّ
 غِبَ وَزُرَ غِبًّا تَزِدُ حُبًّا فَمَنْ
 لَا يَضُرُّ الْفَضْلَ إِقْلَالٌ كَمَا
 خُذَ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَأَثْرُكَ غَمْدُهُ
 حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزٌ ظَاهِرٌ
 فِيمُكَّتِ الْمَاءُ يَبْقَى آسِنًا
 وَلَيْ الْأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلْ
 فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
 أَكْثَرَ التَّرَدَادِ أَقْصَاهُ الْمَلَلُ
 لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطَّفَلِ
 وَأَعْتَبِرْ فَضْلَ الْفَتَى دُونَ الْحُلَلِ
 فَاغْتَرِبْ تَلَقَّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلِ
 وَسُرَى الْبَذْرِ بِهِ الْبَذْرُ اكْتَمَلَ

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع :

صالح بن عبد القدوس يُوصي

قال صالح بن عبد القدوس^(١):

المَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ
وَلَا أَنْ يُعَادَى عَاقِلٌ خَيْرٌ لَهُ
فَأَرْبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا
وَمِنْ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
حَتَّى يَحُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
لَا أَلْفِيَّتَكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ
مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسْبَ عُقُولِهِمْ
لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
وَإِذَا الْجِنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقِيَا
وَيَظَلُّ يَرْقَعُ وَالْخُطُوبُ تُمَرِّقُ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتُشِيرَ فَيُطْرَقُ
فَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ
قَدْ مَاتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخِرُ يَغْرَقُ
بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُرْزَقُ
أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
هَذَا عَلَيْهِ مُوسَعٌ وَمُضَيِّقُ
وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَائِحٍ يَتَرَفَّرُ

(١) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله (١٠٠٠ - نحو ١٦٠ هـ/ نحو ٧٧٧ م) شاعر حكيم. كان متكلماً يعظ الناس بالبصرة. له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال وحكم وآداب (الزركلي: الأعلام ٣/ ١٩٢).

سَكَتَ الَّذِي تَبَعَ الْعَرُوسَ مُبَهَّتًا وَرَأَيْتَ مَنْ تَبَعَ الْجِنَازَةَ يَنْطِقُ
وَإِذَا أَمْرُوهُ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً تَرَكَتْهُ حِينَ يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرَقُ
بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

☆ ☆ ☆

الفصل الخامس :

ابو الفتح البستي يُوصي

قال أبو الفتح البستي^(١):

زيادة المرء في دنياه نقصانٌ وربحُه غير مخضٍ الخير خُسرانُ
وكلَّ وجدانٍ حظٌّ لا ثباتَ لَهُ فإنَّ معناه في التحقيقِ فُقدانُ
يا عامراً، لخرابِ الدهرِ مُجتهداً تالله! هل لخرابِ الدهرِ عُمرانُ
ويا حريضاً على الأموالِ يجمعُها أنسيتَ أنَّ سُرورَ المالِ أخزانُ
زِعِ الفؤادَ عن الدنيا وزُخرفِها فصفوُّها كدَرٌ، والوصلُ هجرانُ
وأرِعِ سَمْعَكَ أمثالاً أفصلُها كما يُفصلُ ياقوتٌ ومَرجانُ
أحسنِ إلى الناسِ تَسْعِيدُ قُلُوبَهُمْ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
وإنَّ أساءَ مُسيءٌ، فليكنْ لكَ في عُروضِ زَلَّتْهُ صَفْحٌ وغُفرانُ
وكنْ على الدهرِ معواناً لذي أملٍ يَرْجو نَدَاكَ، فإنَّ الحُرَّ مِعْوَانُ
واشدُّ يَدَيْكَ بحبلِ الدينِ مُعتَصِماً فإنَّه الرُّكنُ، إنَّ خانتَكَ أركانُ

(١) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف (١٠٠٠ - ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م) شاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان)، وإليها نسبته. كان من كتّاب الدولة السامانية في خراسان. له ديوان. (الزركلي: الأعلام ٣٢٦/٤).

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ، يُخَمِّدْ فِي عَوَاقِبِهِ
 مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ
 مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعاً، فَلَيْسَ لَهُ
 مَنْ جَادَ بِالْمَالِ، مَالَ النَّاسِ قَاطِبَةً
 مَنْ سَالَمَ النَّاسَ، يَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ
 مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا
 مَنْ مَدَّ طَرْفًا بِفَرْطِ الْجَهْلِ، نَحْوَهُوَى
 مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ لَاقَى مِنْهُمْ نَصَبًا
 وَمَنْ يُفْتَشِنْ عَنِ الْإِخْوَانِ، يَقْلِبُهُمْ
 مَنْ اسْتَشَارَ ضُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ
 مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدْ فِي عَوَاقِبِهِ
 مَنْ اسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ، نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقَ الْبَشْرِ، إِنَّ الْحُرَّ هِمَّتُهُ
 وَرَافِقِ الرَّفْقَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ، فَلَمْ
 وَلَا يَغْرُكَ حَظٌّ جَرَّهُ خَرَقٌ
 أَحْسِنْ، إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ
 وَالرَّوَضُ يَزْدَانُ بِالثُّوَارِ فَاغْمَةٌ،
 صُنْ حُرَّ وَجْهَكَ، لَا تَهْتِكْ غَلَائِلَهُ
 وَإِنْ لَقِيتَ عَدُوًّا، فَالْقَهْ أَبَدًا
 دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا
 لَا ظِلٌّ لِلْمَرءِ، يَعْرِى مِنْ تُقَى وَنُهَى
 فَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالَتْهُ دَوْلَتُهُ
 سَخْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ، بِاقِلْ حَصْرًا
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ يَبُوحُ بِهِ
 لَا تَحْسِبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ

وَيَكْفِهِ شَرٌّ مَنْ عَزُّوْا، وَمَنْ هَانُوا
 فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجَزٌ وَخِذْلَانُ
 عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
 إِلَيْهِ، وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ قَتَانُ
 وَعَاشٍ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
 وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحِرْصِ سُلْطَانُ
 أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ
 لِأَنَّ سَوْسَهُمْ بَغْيٌ وَعُدْوَانُ
 فَجُلُّ إِخْوَانِ هَذَا الْعَصْرِ خَوَانُ
 عَلَى حَقِيقَةِ طَبَعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
 نَدَامَةٌ، وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبْرَانُ
 قَمِصِيهِ، مِنْهُمْ، صِلْ وَتَعْبَانُ
 صَحِيفَةٌ، وَعَلَيْهَا الْبِشْرُ عُتْوَانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ، وَلَمْ يَذْمُهُ إِنْسَانُ
 فَالْخُرْقُ هَدْمٌ، وَرِفْقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ، عَلَى الْإِنْسَانِ، إِمْكَانُ
 وَالْحُرُّ، بِالْأَصْلِ وَالْإِحْسَانِ، يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حُرٍّ لَحُرِّ الْوَجْهِ، صَوَّانُ
 وَالْوَجْهُ بِالْبِشْرِ وَالْإِشْرَاقِ، غَضَّانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ، كَسْلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَلْتَهُ أَوْرَاقُ وَأَغْصَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ، أَعْوَانُ
 وَبَاقِلٌ، فِي ثَرَاءِ الْمَالِ، سَخْبَانُ
 فَمَا رَعَى غَنَمًا فِي الدَّوِّ سِرْحَانُ
 غَرَائِزُ لَسْتَ تُحْصِيهَا وَأَكْنَانُ

مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لَوَارِدِهِ
 لَا تَخْدِشَنَّ بِمَظِلِّ وَجْهِ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَذْبٍ حَازِمٍ يَقْظِ
 فَلِلْتَدَابِيرِ فُرْسَانٍ إِذَا رَكَضُوا
 وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتٍ مُقَدَّرَةٌ،
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ،
 كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَزٍ،
 وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ فِي مَعِيشَتِهِ،
 حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ
 هُمَا رَضِيعَا لِبَانٍ: حِكْمَةٌ وَتَقَى،
 إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مُوْطِنٌ، فَلَهُ،
 يَا نَائِمًا فَرَحًا بِالْعِزِّ سَاعِدُهُ
 مَا اسْتَمْرَأَ الظُّلَمَ، لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ
 يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ،
 وَيَا أَخَا الْجَهْلِ! قَدْ أَصْبَحْتَ فِي لُجَجٍ،
 لَا تَحْسِبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا،
 يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوَحْفِ، مُنْتَشِيًا،
 لَا تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ وَارِفٍ خَضِلٍ،
 وَيَا أَخَا الشَّيْبِ، لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ، لَمْ
 هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْلِي عُذْرَ صَاحِبِهَا،
 كُلُّ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا
 وَكُلُّ كَسْرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ،
 إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأْلَفُهُ

نَعَمْ! وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 فَالْبِرُّ يَخْدِشُهُ مَظِلُّ وَلَيَّانُ
 قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارٌ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا، أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ، لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُخَمَدُ، قَبْلَ التُّضْجِ، بُخْرَانُ
 وَفِيهِ لِلْحُرِّ قُنْيَانٌ وَغُنْيَانُ
 وَصَاحِبُ الْحِرْصِ، إِنْ أَثَرَى فَعُضْبَانُ
 إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخُلَّانُ
 وَسَاكِنَا وَطَنٍ: مَالٌ وَطُغْيَانُ
 وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
 إِنْ كُنْتَ فِي سَنَةٍ، فَالْدَّهْرُ يَقْظَانُ
 وَهَلْ يَلَدُ مَذَاقٌ، وَهُوَ خُطْبَانُ
 أَبْشِرْ، فَأَنْتَ بَغِيرِ الْمَاءِ رَيَّانُ
 وَأَنْتَ، مَا بَيْنَهَا، لَا شَكَّ عَطْشَانُ
 مِنْ سَرَّهِ زَمَنٌ، سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
 مِنْ كَاسِهِ، هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ؟
 فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ، شُبَّانُ
 يَكُنْ لِمِثْلِكَ، فِي الْإِسْرَافِ، إِمْعَانُ
 مَا عُذِرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ!؟
 إِنْ شَيَّعَ الْمَرَّةَ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانُ
 وَمَا لِكَسْرِ قَنَازِ الدِّينِ، جُبْرَانُ
 فَاطْلُبْ سِوَاهُ، فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ

وإن نَبَتْ بِكَ أوطانُ نَشَأْتَ بها
 والصَّادِقُ البرُّ في الدُّنيا مُسَيِّلَةٌ
 فَأُكَيِّسُ النَّاسَ مَنْ فِي كَيْسِهِ كِسْرُ
 النَّاسِ هَضْبُ شِمَامٍ حَيْثُ مَيْسَرَةٌ
 كُنَّا نَرَى إِنَّمَا الْإِحْسَانَ مَكْرُمَةٌ
 خُذْهَا سَوَائِرَ أَمْثَالٍ مُهَذَّبَةٍ
 مَا ضَرَّ حَسَانَهَا، وَالطَّبَعُ صَائِغُهَا،
 فَارْحَلْ فَكُلُّ بِلَادِ اللَّهِ أوطانُ
 والأَحْمَقُ الغُرُّ في النِّعَمَاءِ لُقْمَانُ
 لَا مَنْ يُمَدُّ لَهُ فِي الْفَضْلِ مَيْدَانُ
 لَكِنَّهُمْ حَيْثُ مَالٍ الْمَالُ أَغْصَانُ
 فَالْيَوْمَ مَنْ لَا يَضُرُّ النَّاسَ مِحْسَانُ
 فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّبَيَّانَ تَبْيَانُ
 إِنَّ لَمْ يَقُلْهَا قَرِيعُ الشُّعْرِ حَسَّانُ

☆ ☆ ☆

الفصل السادس:

الشيخ ناصيف اليازجي يُوصي

قال الشيخ ناصيف اليازجي^(١):

دَعِ يَوْمَ أَمْسٍ وَخُذْ فِي شَأْنِ يَوْمٍ غَدٍ
وَأَقْنَعْ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ الْكَرِيمُ وَلَا
وَالْبَسْ لِكُلِّ زَمَانٍ بُرْدَةً^(٣) حَضَرَتْ
وَدُرْ مَعَ الدَّهْرِ وَأَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
مَتَى تَرَى الْكَلْبَ فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ عَلَيْكَ الْعَارَ تَلَبَّسُهُ
لَا تَأْمَلِ الْخَيْرَ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ حَدَثَتْ
وَأَخْرَصْ عَلَى الدُّرِّ أَنْ تُعْطِيَ قَلَائِدَهُ
أَعْدَى الْعُدَاةِ صَدِيقٌ فِي الرِّخَاءِ فَإِنْ
وَأَعِدْ لِنَفْسِكَ فِيهِ أَفْضَلَ الْعُدَدِ^(٢)
تَبَسُّطُ يَدَيْكَ لِنَيْلِ الرِّزْقِ مِنْ أَحَدٍ
حَتَّى تُحَاكَ لَكَ الْأُخْرَى مِنَ الْبُرْدِ
حَذَارٍ أَنْ تُبْتَلَى عَيْنَاكَ بِالرَّمَدِ
فَأَجْعَلْ لِرِجْلَيْكَ أَطْوَقًا مِنَ الزَّرْدِ
مِنْ عَضَّةِ الْكَلْبِ لَا مِنْ عَضَّةِ الْأَسَدِ
فَهُوَ الْحَرِيسُ عَلَى أَثْوَابِهِ الْجُدْدِ
مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الدُّرِّ وَالْبُرْدِ
طَلَبَتْهُ فِي أَوَانِ الضِّيقِ لَمْ تَجِدْ

(١) هو ناصيف بن عبد الله بن ناصيف الشهير باليازجي (١٢١٤هـ/١٨٠٠م - ١٢٨٧هـ/١٨٧١م) شاعر من كبار الأدباء في عصره. أصله من حمص ومولده في كفرشيما ببلبنان، ووفاته ببيروت. من مؤلفاته «مجمع البحرين» و«فصل الخطاب» وثلاثة دواوين شعرية (الزركلي: الأعلام ٣٥٠/٧).

(٢) جمع عدة، وهي ما أعدته لحوادث الدهر من المال والسلاح.

(٣) واحدة البرد، وهو الثوب المخطط.

وَأَوْثَقُ الْعَهْدِ مَا بَيْنَ الصُّحَابِ لِمَنْ
عَلَيْكَ بِالشُّكْرِ لِلْمُعْطِي عَلَى هَبَةٍ
عَاقَذَتْ قَلْبًا بِقَلْبٍ لَا يَدَا يَدِ
وَدَعِ حَسُودَكَ يَشُوي فِلَذَةً الْكِيدِ
لَوْ كَانَ يَفْعَلُ فِي ذِي نِعْمَةٍ حَسَدٌ
لَمْ يَنْجُ ذُو نِعْمَةٍ مِنْ غَائِلِ الْحَسَدِ
☆ ☆ ☆

الفصل السابع :

إيليا أبو ماضي يُوصي

قال إيليا أبو ماضي^(١):

قال: «السَّمَاءُ كُتِيبَةٌ» وَتَجَهَّمَا
قال: الصَّبَا وَلِي! فَقُلْتُ لَهُ: أَبْتَسِمُ
قال: التي كَانَتْ سَمَائِي فِي الْهَوَى
خَانَتْ عُهُودِي بَعْدَمَا مَلَكَتْهَا
قُلْتُ: أَبْتَسِمُ وَأَطْرَبُ فَلَوْ قَارَنْتَهَا
قال: التَّجَارَةُ فِي صِرَاعِ هَائِلِ
أَوْ غَادَةٍ مَسْلُوكَةٍ مُحْتَاجَةٍ
قُلْتُ: أَبْتَسِمُ مَا أَنْتَ جَالِبُ دَائِهَا
أَيَكُونُ غَيْرُكَ مُجْرِمًا وَتَبِيتُ فِي
قال: الْعِدَى حَوْلِي عَلَتْ صَنِيعَاتُهُمْ
قُلْتُ: أَبْتَسِمُ لَمْ يَطْلُبُوكَ بِذَمِّهِمْ
قُلْتُ: أَبْتَسِمُ يَكْفِي التَّجَهُُّمُ فِي السَّمَاءِ!
لَنْ يُزْجَعَ الْأَسْفُ الصَّبَا الْمَتَصَرِّمًا
صَارَتْ لِنَفْسِي فِي الْغَرَامِ جَهَنَّمًا
قَلْبِي، فَكَيْفَ أُطِيقُ أَنْ أَبْتَسِمًا؟
قَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ مُتَأَلِّمًا!
مِثْلُ الْمُسَافِرِ كَادَ يَقْتُلُهُ الظَّمَا
لِدَمٍ، وَتَنَفُّثُ كُلِّمَا لَهَثَتْ دَمًا
وَشِفَائِهَا فَإِذَا أَبْتَسَمْتَ فَرُّبَمَا...
وَجَلَّ كَأَنَّكَ أَنْتَ صِرْتَ الْمُجْرِمَا
أَأَسْرُ وَالْأَعْدَاءُ حَوْلِي فِي الْحِمَى؟
لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ أَجَلٌ وَأَعْظَمًا!

(١) هو إيليا بن ضاهر أبي ماضي (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م - ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) من كبار شعراء المهجر. ولد في قرية المحيدثة (لبنان) وسكن الإسكندرية، ثم سافر إلى أميركا. له عدة دواوين شعرية (الزركلي: الأعلام ٣٥/٢).

قَالَ: الْمَوَاسِمُ قَدْ بَدَتْ أَغْلَامُهَا
 وَعَلَيَّ لِأَحْبَابٍ فَرَضٌ لَا زِمٌ
 قُلْتُ: أَبْتَسِمُ يَكْفِيكَ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ
 قَالَ: اللَّيَالِي جَرَّعَتْني عُلُقَمًا
 فَلَعَلَّ غَيْرَكَ إِنْ رَأَى مُرْنَمًا
 أَتُرَاكَ تَغْنَمُ بِالتَّبَرُّمِ دِرْهَمًا
 يَا صَاحِبَ لَا خَطَرَ عَلَى شَفَتَيْكَ أَنْ
 فَأَضْحَكَ فَإِنَّ الشُّهْبَ تَضْحَكُ وَالذُّجَى
 قَالَ: الْبَشَاشَةُ لَيْسَ تُسْعِدُ كَائِنًا
 قُلْتُ: أَبْتَسِمُ مَا دَامَ بَيْنَكَ وَالرَّدى
 وَتَعَرَّضْتُ لِي فِي الْمَلَابِسِ وَالذُّمَى
 لَكِنْ كَفَى لَيْسَ تَمْلُكَ دِرْهَمًا
 حَيًّا، وَلَسْتُ مِنَ الْأَحِبَّةِ مُعْدَمًا
 قُلْتُ: أَبْتَسِمُ وَلَيْتَنِي جَرَّعْتَ الْعُلُقَمَا
 طَرَحَ الْكَأَبَةَ جَانِبًا وَتَرْنَمًا
 أَمْ أَنْتَ تَخْسَرُ بِالْبَشَاشَةِ مَغْنَمًا
 تَتَلَمَّأُ وَالْوَجْهَ أَنْ يَتَحَطَّمَا
 مُتَلَاطِمٌ وَلِذَا نُحِبُّ الْأَنْجُمَا!
 يَأْتِي إِلَى الدُّنْيَا، وَيَذْهَبُ مُرْغَمًا
 شَبْرٌ فَإِنَّكَ بَعْدُ لَنْ تَتَبَسَّمَا

☆ ☆ ☆